جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب و اللغات
قسم الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

تخصص : أدب عربي قديم

إعداد الطالب:
غريس وفاء - دباخ فطيمة

يوم:12/06/2019

فن التوسل في شعر القاضي عياض

لجنة المناقشة:

أمحمد بن لخظر فورار	أ. د.	الجامعة	رئيس
سامية بوعجاجة	أ. مح أ	الجامعة	مقرر
حسان زرمان	أ. مس أ	الجامعة	مناقش

السنة الجامعية : 2019 - 2020

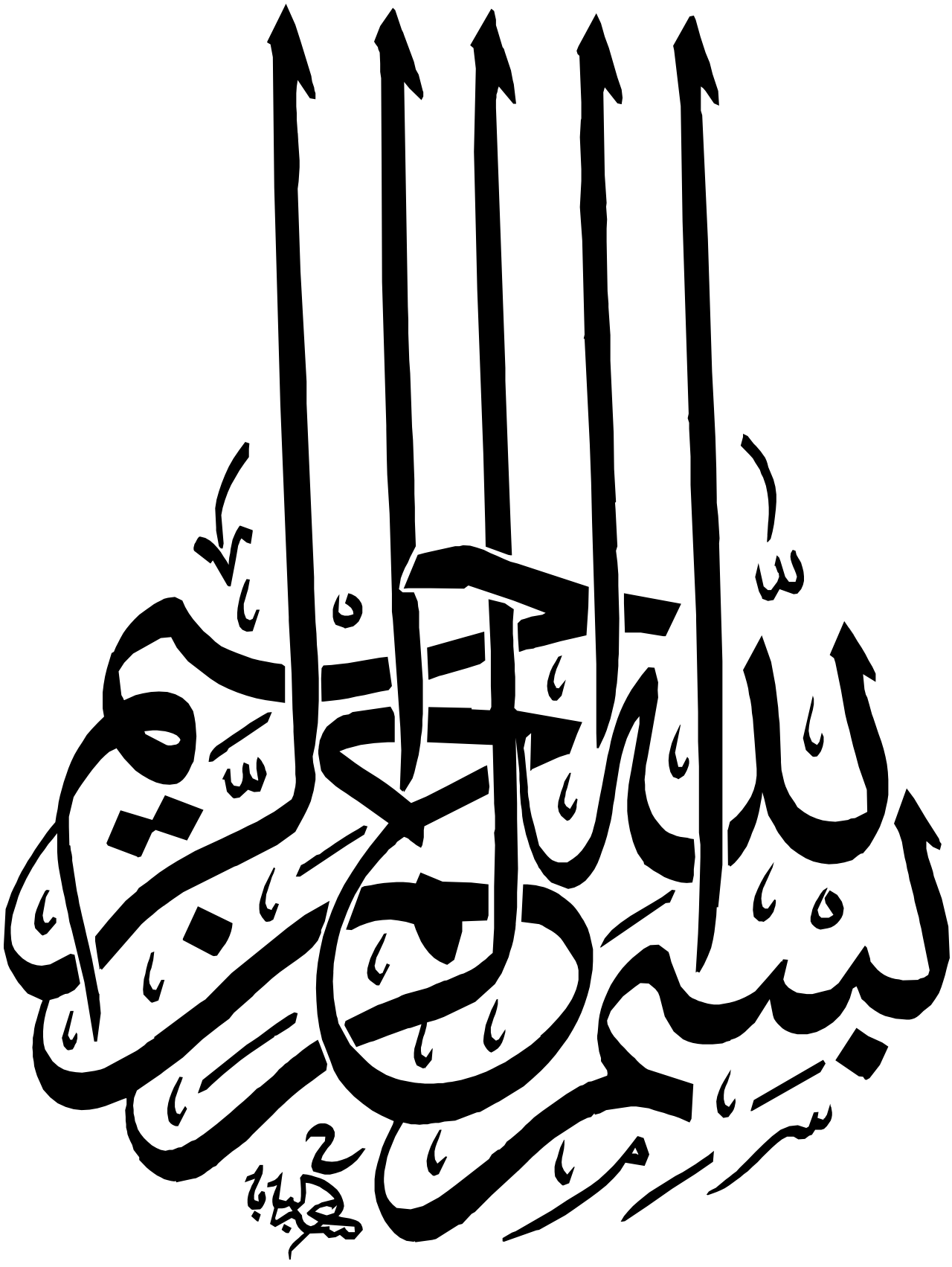
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله والشكر لله الذي بفضله تتم الصالحات .

نتقدم بجزيل الشكر إلى مَنْ نَهلتْنَا بفيض علمها، وتفضلت بالإشراف على هذا العمل الدكتورة :"بوعجاجة سامية". زادها الله سمواً في العلم ورفعة.

وبكل إمتنان وعرفان نَزُفُّ كل عبارات الشكر إلى الأستاذ المغربي الذي رغم البعد كان حاضرًا السعيد بنفرحي "رعاه الله . "

كما نشكر أعضاء لجنة المناقشة ،وكل من ساعد في إنجاز هذا البحث

الإهداء

.

إلى كلِّ مِنَ العائلتين الكريمتين: "دباخ وغريس".

إلى كلِّ طالب علمٍ وباحث.

إلى الوطن الحبيب الجزائر رعاها الله.

نُهدي ثمرة جهدنا

المقدمة

ارتبطت النزعة الصوفية بالأدب المغربي ارتباطا وثيقا. وعرف المغرب بأنه منبع المتصوفين الزهاد الذين انصرفوا عن الدنيا،وأقبلوا على النسك طلباً الثواب من الله تعالى.وقد انقسمت هذه النزعة إلى تصوف فلسفي،وتصوف سنِّي ،هذا الأخير الذي كان القاضي عياض أهم أعلامه،فكان الإمام المالكي والحافظ الفقيه والعالم المحدِّث،واللغوي والنحوي البارع.فهو يعتبر موسوعة أدبية وإسلامية عظيمة،وإلى جانب كل هذا كان له أدب توسُّلِي والذي يعد من أهم مضامين الصوفية.

كما عُرِفَ بتوسلاته وابتهالاته لله تعالى ومدائحه لسيِّد الخلق محمد صلَّى الله عليه وسلَّم.

وعليه كان موضوع بحثنا كالآتي :فن التَّوسل في شعر القاضي عياض.

ويعود سبب اختيارنا لهذا الموضوع إعجاباً منَّا لبعض قصائد الشاعر،وحباً لخير البَرية صلوات الله عليه الذي كان موضوعه الأساسي.

وهدفنا من هذا البحث هو دراسة فن التوسل ،مع إبراز أهم السمات الموضوعية والفنية في شعر عياض،وذلك من خلال التحليل والوقوف على المضامين،واللغة والأسلوب ،والتصوير الفني والإبداعي له. باعتبار أن له أهمية كبيرة تكمن في قدرته ،وتمكنه في صناعة الشعر ونظمه،وشهرته الواسعة في الجانب الديني .وكل هذا تجلَّى في قصائده .

ومن هذا المنطلق نطرح الإشكالية الآتية :

كيف كان التوسل في شعر القاضي عياض ؟

وضمن هذا الإشكال جملة من التساؤلات تمثلت فيما يلي :

1. ما مفهوم التوسل؟ وماهي أنواعه التي وظفها الشاعر ؟
2. فيما تمثلت مضامين شعره ؟.
3. ماهي الجوانب الفنية البارزة في شعره ؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة اتبعنا كلاً من المنهج التحليلي، والنفسي، والمنهج التاريخي لرصد ترجمة الشاعر وعصره،كما بنيت هذه الدراسة على خطة تضمنت مدخلاً وفصلين،وكانت كالآتي :

1. المدخل:كان عبارة عن إضاءة تعلقت بحياة الشاعر وعصره وهو العصر المرابطي، والذي تناولنا فيه أهم أحواله الإجتماعية ،والسياسية،والثقافية ،مع الإشارة إلى العصر الموحدي الذي أدركه الشاعر بشكل موجز.
2. الفصل الأول:وخصص للدراسة الموضوعية تنظيراً وتطبيقا،تناولنا فيه التوسل الذي غلب على مجمل شعره وما ارتبط به من مفاهيم.

3. الفصل الثاني: واقتصر هذا على الجانب الفني مضمِّنًا في ذلك كلَّ من لغة، وأسلوب الشاعر والصور الفنية، والإيقاع الشعري من وزن وقافية .

- كما كانت عُدَّتنا لإنجاز هذا البحث العديد من الكتب القيمة نذكر منها:
- الديوان الشعري للقاضي عياض، ويعد من أهم المصادر الأساسية لهاته الدراسة .
- تاريخ الأدب العربي،(عصر الدول والإمارات، الجزائر المغرب الأقصى موريتانيا السودان) للدكتور شوقي ضيف
- مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين لإبراهيم القادري بوتشيش
- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لابن تيمية.
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري التلمساني .
- الإحاطة في أخبار غرناطة لِلِسَان الدين بن الخطيب

ولايخلو أي بحث من صعوبات،ولعل أهم صعوبة اعترضتنا :قلة المصادر الأدبية التي تناولت فن التَّوسل، وقد تجاوزنا عقبات البحث بفضل توجيهات الدكتورة "بوعجاجة سامية "وفي إطار العرفان بالجميل، نتقدم لها بجزيل الشكر وكل عبارات الشكر لا تكفي لنوفيها ،حقها حفظها الله ورعاها .

المدخل

ترجمة الشاعر وعصره

1. ترجمة الشاعر
2. عصر الشاعر

1 ترجمة الشاعر:

1.1 مولده وتعلمه :

القاضي عياض من الأسماء التي أشرقت في صفحات التاريخ، والتاريخ بذاته يثبت أن رجال المغرب كان لهم إسهاماً كبيراً في كل فرع من العلوم،فقد عكف على تحصيل ماينفعه في أمور دينه، ودنياه ،والناس بعده، لهذا قد خصصنا له جزء رصدنا فيه أهم محطات حياته، ومكانته في عصره، باعتباره من خيرة الرجال الذي فاض حبره في شتى المجالات، فكان في الدين إماماً وفقيهاً وفي الأدب شاعراً وناقداً،وكان في السياسة قاضياً،وفي الجهاد مدافعاً عن وطنه، رحمه الله .

هو«القاضي عياض بن موسى بن عياضبن عمر بن موسى بن عياض العلامة عالم المغرب أبو الفضل اليحصبي السبتي الحافظ».[1]المالكي.[2]

وعِياض: بكسر العين المهملة وفتح الياء المثناة من تحتها وبعد الألفضاد معجمه .

واليحصبي: بفتح الياء المثناة من تحتها وسكون الحاء المهملة ،وضم الصاد المهملة وفتحها وكسرها وبعدها باء موحدة ، هذه النسبة إلى يحصب بن مالك من قبيلة حمير." [3]

أما فيما يخص ميلاده فقد اتفقت كل الأخبار على أنه«ولدبسبتة في منتصف شعبان سنة 476 ».[4]

ومن هنا تبدأ حياة القاضي عياض وتبدأ بوادر العلم معه،ونستأنس بما قاله عنه خاقان «جاء على قدر وسبق إلى نيل المعالي و ابتدر، واستيقظ لها والناس نيام وورد ماءها وهم حيام، وتلا من المعارف ماأشكل وأقدم على ما أحجم عنه سواه ».[5]

[1]- جلال الدين عبد الرحمان، طبقاتالحفاظ،دار الكتب العلمية،بيروت، لبنان،ط1،1983، ص470.

[2]- أبي زكريا محيالدين،تهذيب الأسماء واللغات، ج 2،دارالكتب العلمية،بيروت، لبنان،ص43.

[3]- ابن خلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 3، تحقيق:إحسان عباس،دار صادر،بيروت ،1970،ص485.

[4]- القاضي عياض،الغنية،تحقيق : ماهر زهير جرار،دار الغرب الإسلامي،ط1، 1982،ص06.

[5]- الفتح بن خاقان، قلائد العقيان ،مطبعة التقدم العلمية،مصر،ط1، 1320،ص 232.

فكانت نفسه تتوق لطلب العلم ،وخير دليل على على هذا ما ورد عن صاحب الإحاطة «رحل إلى الأندلس سنة سبع وخمساية فأخذ بقرطبة ومرسية وغيرهما ثم عاد إلى سبتة ...وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عليها ».[1]

ويعد من أكابر الحفاظ،ومن أعظم أئمة عصره في الحديث وفي فهم غريبه ،ومشكله، ومختلفه بارعاً في الأصول والكلام."[2]

وهو من أهل التفنن في العلم،والذكاء، واليقظة."[3]ولم يُغْفَلْ عن ذِكره في تاريخ الفكر الأندلسي فقد خُصِّصَ له بضع أسطر،للإشارة على قدرته العلمية «وقد إمتاز عياض بعلم واسع بالتاريخ وأنساب العرب والنحو واللغة والصرف والحديث».[4]

ويصفه ابن فرحون في ديباجه إذْ يقول :«بصيراً بالأحكام وعاقداً للشروط حافظاً لمذهب مالك رحمه الله شاعراً مجيداً من ربان الأدب خطيباً صبوراً حليماً جميل العشرة سمحا كثير الصدقة دؤوباً على العمل صلباً في الحق»[5].

ولم يقتصر فكر عياض على الأدب والفقه ،بل تعداها إلى السياسة،حيث كان « إمام المذهب المالكي مذهب –الدولة المرابطية– والمدافع عنه والمعرِّف برجالاته ».[6]

لذلك «استقضى ببلده مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل إلى قضاء غرناطة».[7]في أول صفر سنة إحدى وثلاثين وخمسماية ..... ثم ولى قضاء سبتة ثانية."[8]

إذن سبتة تولاها مرتين ."[9]

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج4 ،تحقيق: محمد عبد الله عنان ،مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط1، 1977ص223.

[2]– محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،مكتبة الخانجي،القاهرة ،ط2، 1990،ص462.

[3]–ابن الخلكان،وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،ج3،المرجع السابق،ص483، نقلاً عن: أبو قاسم ابن بشكوال، الصلة،ص429.

[4]– آنخل جنثالث بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي،ترجمة :حسين مؤنس،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة ،1955، 283.

[5]–ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،ج 2، دارالتراث العربي،ص47.

[6] حسن جلاب،الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبعة رجال، الوراقة الوطنية،مراكش،ط1، 1994،ص156 .

[7]أحمد بن القاضي المكناسي،جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الإعلام بمدينة فاس،دار المنصور،الرباط،1973،ص499.

[8]لسان الدين بن الخطيب،الإحاطة في أخبار غرناطة،ج 4،المرجع السابق،ص223.

[9]ينظر : محمد بن تاويت،تاريخ سبتة،دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب،ط1، 1982،ص56.

ومن هنا يتبين لنا كل ما ورد في صفحات الكتاب والمؤرخين،كفيلة لأن تشهد على أنه أفنى عمره كله طالباً للعلم ،مجتهداً في أمور دينه،حَريصًا مُجدًا رحمه الله .

2.1 شيوخه :

ولا تسعنا الدراسة لأن نوردكل مشايخه،ومنهم نذكر:

- "الفقيه القاضي أبو عبد الله محمد بن عيسى بن حسين التميمي .
- أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الثعلبي .
- القاضي الشهيد أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم النجسي ابن الحاج .
- الفقيه القاضي أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد
- القاضي أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الأموي رحمه الله الأديب الراوية
- أبوعبد الله محمد بن سليمان النغزي المعروف بابن أخت
- الإمام أبوبكر محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري المعروف بالطرطوشي ."[1]
- "أبو محمد عبد الله ابن السيِّد البطليوسي.
- أبو محمد بن عتاب الجذامي الإمام الشهير.
- عبد الرحمان بن محمد السبتي ابن العجوز .
- عبد الرحمان بن محمد بن بَقِي .
- علي بن أحمد الأنصاري بن الباذش ."[2]

3.1 مصنفاته :

ولعياض العديد من المصنفات كانت انعكاساً لشخصيته الفذة والثقافة الواسعة المتنوعة التي أحاطت بكل المجالات ،لتكون أثرا جميلاً يتداركه الدارسون والباحثون من بعده نذكر منها :

[1] ينظر: القاضي عياض،الغنية ،المرجع السابق،ص 28إلى62.

[2] شهاب الدين أحمد، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،ج3، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1942ص161.

"كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ستة أجزاء.

- كتاب إكمال المعلم في شرح مسلم تسعة وعشرون جزءاً.
- كتاب التنبيهات المستنبطة على الكتب المدونة المختلطة عشرة أجزاء.
- كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك أعلام مذهب مالك خمسة أسفار ولم يُسمِعه.
- كتاب الإعلام بحدود قواعد الإسلام.
- كتاب الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع .
- كتاب بغية الرائد لما تضمنه حديث أم زرع من الفوائد.
- كتاب المعجم في الشيوخ ابن سكرة.
- الغنية في شيوخه "[1].
- مشارق الأنوار على صحيح الآثار،ستة أجزاء ضخمة "[2].

4.1 وفاته :

أما فيما يخص وفاته رحمه الله فقد أُخْتُلِفَ في هاته المسألة،وما علينا إلا أن نورد ما دُوِّنَ وماقيل فيها من أخبار .

ورد في كتاب خريدة القصر:أنه «توفي بفاس سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة».[3]

أما ما ورد عن الحافظ ابن كثير،يقول في هذا الصدد:«ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة فيما كانت وفاة القاضي عياض».[4]

وجاء في سير أعلام النبلاء :«بلغني أنه قتل بالرماح لكونه أنكر عصمة ابن تومرت».[5]

وقيل أنه مات مسموماً سمه يهودي ودفن رحمهُ الله بباب إيلان داخل المدينة." [6]

---

[1] محمد بن عياض، التعريف بالقاضي عياض،تحقيق:محمدبن شريفة، مطبعة فضالة،المحمدية،ط2، 1982، ص117-116.

[2] شهاب الدين أحمد، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،ج4، تحقيق:سعيد أحمد أعراب، محمد بن تاويت، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، 1978، ص342.

[3] العماد الأصفهاني، خريدة القصر وجريدة العصر،ج2،تحقيق :آذرتاش آذنوش،الدار التونسية،ط2، 1986،ص501.

[4] ابن كثير، البداية والنهاية، ج12،المعرف،بيروت،لبنان،1991 ، ص224.

[5] شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، ج20، المرجع السابق، ص217.

[6] ابن فرحون، الديباج المذهب في المعرفة أعيان علماء المذهب، المرجع السابق، ص51.

وإلى جانب كل هاته الروايات،نكتفي بما خطه ابنه في التعريف« ثم مات – عفا الله عنه – ليلة الجمعة نصف الليل التاسعة من جمادى الآخرة من عام أربع وأربعين ».[1]

2. عصر الشاعر :

في العصر المرابطي بزغ نور يلوح في الأفق ،ألا وهو عياض ثَبَّتَ الله في قلبه الدين والعلم معًا ليحمل دولته على شريعة الله وسنة نبيِّه صلَّى الله عليه وسلم .يقودها إلى بر الأمان ،ينجيها من جهلٍ حالكٍ ، فكان نعم العلماء والرجال، ابن سبتة،وابن المغرب، وابن العالم الإسلامي .وقف مجاهداً يحمل راية الإسلام .

عايش القاضي مرحلتين كانتا محور حدث في حياته: «ففي المرحلة الأولى عاصر عياض دولة المرابطين،وكان لها مواليا مطيعا،لما تحقق لها من الولاية الشرعية وما اتصف بها قادتها في عصره من الإنقياد للشرع وعناية بالعلم وتقديم لأهله .وفي المرحلة الثانية عاصر عياض دولة الموحدين وكان لها معارضاً مجاهداً لأسباب شرعية اقتضت ذلك».[2]

إلا أن الجزء الكبير من حياته كان في الدولة المرابطية.«وكما سبقت الإشارة فالقاضي عياض إبن العصر المرابطي،فحياته تكاد تنسق زمنياً مع حياة هذه الدولة ....وتأخر به الزمن فأدرك الانقلاب الموحدي ».[3]وإن استقضى آخر عمره للموحدين فإنه يمثل العهد المرابطي حق تمثيل ولا صلة لعلمه بغيره."[4]

إذن نخلص إلى أن القاضي قد شهد قيام قوتين في تطورهما ،وأدرك إنهزام الدولة المرابطية وكان آنذاك من أئمة الهدى ومن العلماء الأجلاء الذين سخروا الأمة بذكرهم.

1.2 العصر المرابطي :(الدولة المرابطية 448هـ –541هـ).

إن أهل المغرب ممن أنعم الله عليهم أن يتوسع الإسلام في بلادهم ،أسلموا لله قلباً وقالباً خرجوا مرابطين مجاهدين في مناكب الأرض يبتغون فضلاً من الله ورضواناَ.

[1] محمد بن عياض،التعريفبالقاضي عياض،المرجع السابق،ص13.

[2] الحسين بن محمد شواظ، القاضي عياض عالم المغرب وإمام اهل الحديث في وقته ،المرجع السابق،ص15.

[3] القاصي عياض،ديوان القاضي عياض،تحقيق: محمد عيناق بني أزناسن،سلا المغرب،ط1، 2001،ص14.

[4] محمد بن تاويت،تاريخ سبتة،المرجع السابق،ص59.

إذن ومما لا شك فيه أن البداية الفعلية لدولة المرابطين كانت وليدة إصلاح ديني ، حينما «دخل عبد الله بن ياسين بلاد صنهاجة بقصد تعليمهم القران،وتثقيفهم في الدين، فوجد القوم على جهل مطبق لايفرقون بين حلال وحرام».[1]

فنفض عنهم غبار الجهل،وكان فيهم خير مجاهدٍ ليُحْيي فيهم شرائع الله فلقي منهم إقبالا كبيراً «وأُعْجِبوا به، والتفوا حوله أول الأمر، وعادوا أنكروا عليه ما نهاهم عنه بعضالمحرماتوشعر باليأس فصمم على أن يتركهم وشأنهم ويقصر نفسه على النسك وعبادة ربه. وأشار عليه يحي بن عمر أحد رؤساء لمتونة أن يتنسك معه في جزيرة قرب مصب نهر السنغال،ونزلها معه وأقام فيها رباطاً».[2]

. ومن هذا المنبر وهذا الرباط«أخذ يفد عليه كثيرون .... فلما بلغت عدتهم ألفا قال لهم : " أخرجوا فأنتم المرابطون " ... ولذلك سمو بهذاالاسم : المرابطين وغلب علىتسميتهم بالملثمين وبحق ظلت هذه الدولة"طوال عهدها" دولة رباط وجهادفي سبيل الله».[3]

ويشير الدكتور حسن أحمد محمود إلى من كان له الفضل في بناء هذه الحركة الإصلاحية إذ يقول : « وباختيار عبد الله بن ياسين يبتدئ عهد جديدفي تاريخ شعوب الملثمين،بل في تاريخ الإسلام في السودان،وتاريخ المغرب بل في تاريخ العالم الإسلامي .....فإليه يرجع الفضل في جمع كلمة الملثمين ولم شعثهم».[4]

1.1.2 الحالة الإجتماعية :

فيما يخص المجتمع المرابطي فكان ذُو قِيمةٍ تُذْكَرْ وَتَاريخٍ يُدْرَسْ فقد عُرفَ بتنوع عناصره وقبائله وتعدد سماته وأدواره و أولى العناصر بالذكر :

«**البربر**: وينقسم البربر إلى قسمين كبيرين بحسب أسلوب الحياة والطابع الحضاري : البربر البدو ويسمون بالبتر والبربر الحضر والمسمون بالبرانس».[5]

---

[1] عبد الله كنون ،النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1،ط2، 1960،ص58.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي،عصر الدولوالإمارات(الجزائر المغرب الأقصىموريتانيا السودان)،دار المعارف،ط1،القاهرة،1995 ص275.

[3] المرجع نفسه،ص 27.

[4] حسن أحمد محمود،قيام دولة المرابطين،دار الفكر العربي،القاهرة، 1956،ص113-114.

[5] حسين مؤنس،معالم تاريخ المغرب والأندلس،مكتبة الأسرة،2004 ،ص،28.

وإلى جانب العناصر البربرية العرب – عرب المغرب الأقصى وعرب الأندلس– التي« بقيام دولة المرابطين ،تضافرت عدة عوامل لتجعل من المغرب الأقصى مركزاً للاستقطاب للعديد من المجموعات العربية .فمع شيوع الأمن والاستقرار في عهد يوسف بن تاشفين، وإدماج الأندلس في حظيرة الدولة المركزية ،وانتعاش المجال الحرفي والصناعي والتجاري ،بدأ توافد الأسر العربية الأندلسية على المغرب الأقصى ،التي استوطن معظمها في فاس لجودة مناخها وسلامة بيئتها».[1]

أما الفئة الأخرى التي كانت حاضرة هي المولدون.*

كذلك فئة أخرى تواجدت إبان هذه الحقبة المرابطية أطلق عليها «الأقليات ونقصد بها العناصر التي شكلت نسبة قليلة من مجموع السكان، ووفدت من مناطق بعيدة وتتمثل أساسا في الصقالِبة والسودانيين ،والغر الأتراك».[2]

وأيضا « في عصرهم سكن أهل الذمة،من نصارى ،ويهود المغرب الأقصى، كغيره من البلاد العربية الإسلامية وكانت هذه الطوائف تسكن أهم المدن مثل مراكش وفاس».[3]

وننتقل بكل إيجاز عن الوضع الطبقي الذي تميز به المجتمع المرابطي فكان كالآتي:

- «**الطبقة الخاصة** : الكبراء والأعيان

تكونت هذه الطبقة أصلا من الأمراء وعشيرتهم، وقادة الجند ورجال الدولة والولاة وفقهاء السلطة ،والأعيان وكتاب الدواوين ،فضلا عن بعض البيوتات الوجيهة المرتبطة بجهازالسلطة».[4] والقاضي عياض من الشخصيات المهمة في هذه الطبقة فقد كانت له اليد الطُولى في بناء الدولة المرابطية ،وتشييد أسسها الدينية، فكان حاضرا بعلمه ودينه ،يتلقى الدعم والتشجيع من قبل أمرائها .

[1] إبراهيم القادري بوتشيش،مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين،دار الطليعة،بيروت،1997،ص38.

*المولدون: هم جزء كبير من الشعب الاسباني أقدموا على اعتناق الإسلام برغبتهم واختيارهم بعيداً عن أية ضغوط خارجية أوداخلية . علي أحمد،دور المولدين والمستعربين في الدولة العربية بالأندلس،مجلة دراسات تاريخية،جامعة دمشق،العددان 126، 125،حزيران 2014 ص95.

[2] إبراهيم القادري بوتشيش،مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلسخلال عصرالمرابطين،المرجع السابق،ص45.

[3] إيمان عبد الرحمان حسن العثمان،التعايش السلمي للمسلمين مع أهل الذمة في الدولة المرابطين في عصر علي بن يوسف (500هـ /537هـ) (1142/1106)،مجلة كلية العلوم الإسلامية،المجلد الثامن،العدد (15/2)،2014،ص20 .

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين،المرجع السابق،ص131.

- «**الطبقة الوسطى** :

ضمت هذه الطبقة شرائح اجتماعية متنوعة، من تجار وصيارفة يهود وأرباب أصحاب مهن حرة من مهندسين وأطباء فضلا عن أصحاب الوظائف المتوسطة و أهل العلم

- «**الطبقة العامة** :

حوت الطبقة العامة شرائح اجتماعية متنوعة ،شكل دخلها المحدود القاسم المشترك بينهما فشملت الحرفيين، وصغار التجار، والباعة المتجولون ،والمستخدمين، والأجراء ،وأصحاب المهنالوضيعةوالمزارعين،والرعاة والمعلمين والطلبة وأئمة المساجد وغيرهم ممن تدفقوا على المدن بحثاً عن العمل فضلاً عن المهمشين والعبيد».[1]

1.1.2 الحالة السياسية

إن المرحلة الأولى التي ظهرت فيها الدعوة المرابطية ،تدل قطعاً على الدور السياسي التي لعبته من خلال ما تبين لنا من القادة الأكفاء ،الذين كان لهم الفضل في توسيع الحركة ،وجهادهم في سبيل الله،في دفاعهم عن عقيدتهم الإسلامية .

وإذا عدنا إلى نشاط المدبر الأول عبد الله بن ياسين نجده قد ساهم في « تثبيت دعائم الإسلام في بلاد صنهاجة أولاً ثم بقية البلاد».[2]وبما أن دعوته كانت دينية فقد تجند بروح الإسلام«وقاتل في مدينة تارودانت قوماً من الروافض يقال لهم البجلية منسوبين إلى عبد الله البجلي الرافضي..... ....كما قاتل برغواطة ببلاد تامسنا الساحلية »[3]. إلى أن توفي رحمه الله بعد أن «نجح نجاحاً عظيماً في تنفيذ مرحلة التعريف والتكوين والتنفيذ. واستشهد في مرحلة التنفيذ وتولى القيادة في هذه المرحلة أبوبكر بن عمرالذي سار على نفس المرجع الذي رسمه ابن ياسين».[4]

[1] إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في تاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين،المرجع السابق،ص159.
[2] عبد الله كنون النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج1،المرجع السابق،ص59.
[3] المرجع نفسه،ص59.
[4] علي محمد الصلابي،تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي،ط1، 2006،ص67.

« ولم يلبث ان سلم سلطانه لابن عمه يوسف بن تاشفين وانقطع إلى الجهاد في بلاد السودان مع الاشراف على شؤون الصحراء ».[1]

وكان خير من إختار القوي الأمين فقد، «قام يوسف بن تاشفين نحو الشمال ينتزع من أيدي الزناتيين واستخدم من أجل هذا الهدف المنشود إرسال الجيوش للقضاء على جيوش المخالفين . مستفيداً من الخلافات السياسية بين قادة المدن، فحالف بعضها من أجل قتال الباقي واستطاع أن يدخل مدينة فاس صلحاً عام 455هـ ،ثم تمرد أهلها عليه إلا أنه استطاع إخماد وتجاوز كافة الثورات التي قامت ضد المرابطين ،بجهاده ،وكفاحه المستمر،حتى تم له فتح جميع البلاد من الريف إلى طنجة عام 460هـ/1067هـ ».[2]

وتجاوز جيشه القوى بلاد المغرب فقد أصبح أميرًا قائدًا مجاهدًا ومدافعا عن الأندلس حين استغاثت به، فقد تقسمت وتفرقت قبائلها والتي كان سببها:

«**أولاً**: ضعف العقيدة الإسلامية والانحراف عن المنهج الرباني ....

ثانيا:موالاة النصارى والثقة بهم والتحالف معم ».[3]

وبهذا أعلن الحرب والعداء بجنود الله أهلكهم وهنا «تم له بعد ذلك وقعة الزلاَّقة عام479هـ 1086م .تلك الواقعة التي أدال الله فيها المسلمين بالأندلس ،وصارت بها الأندلس ولاية عربية تخضع لحكومة مراكش، بعد أن كانت دويلات متنابذة يسودها الإنحلال ويقضم أسسها الترف"[4]

فالرجال تصنع البطولة ،والبطولة تصنع التاريخ ،والتاريخ يشهد أن « يوسف معجزة حققها الإسلام إذْ استطاع ذلك الدين أن يجعل من هذا الرجل الصحراوي بطلا ظل النصر يُقْتَرَنُ باسمه مدى نصف قرن في معارك المغرب والأندلس».[5]

[1] عبد الله كنون،النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1،المرجع السابق،ص59.
[2] علي محمد الصلابي،تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي، المرجع السابق، ص71.
[3] المرجع نفسه، ص84.
[4] القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم،ج1،تحقيق: يحي اسماعيل دار الوفاء المنصورة،1997، ص16.
[5] حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين، المرجع السابق، ص324.

أمَّا عن الوضع العسكري فقد «امتاز الجنود المرابطون بقوة جيشهم وحسن تنظيمه».[1] وقد اعتمد على نظام التجنيد الشامل لكافة طبقات المجتمع و أسلحتهم آنذاك هي أسلحة بدوية تعتمد على الخيل لكن سرعان ما عدَّل في هذا النظام واتخذ الخيل ودرب الفرسان و استعان بالفرسان الزناتيين لما يملكونه من فنون قتال".[2]

3.1.2 الحالة الثقافية :

كانت الحركة الفكرية إبان العصر المرابطي تحمل في طياتها مسحة دينية وبما أن الدين يحث على طلب العلم ،فالمرابطين كانوا السباقين في أخذه ،ملتزمين بتعاليم دينهم الحنيف لذا فقد « كان أساس دعوة المرابطين العلم وعليه قامت دولتهم وإن رحلة يحي بن إبراهيم الكدالي التي تمخضت عن دخول عبد الله بن ياسين إلى الصحراء .الأعظم دليل على ذلك وكانت نزعة عبد الله إلى علم الفقه والدين أقوى منها إلى أي آخر بالطبع لأنه كان عالما دينيا».[3]

ومن هذا المنبر يورد شوقي ضيف « إن أهل المغرب اعتنقوا الدين الحنيف من القديم وأخذوه بقسط من حضارته الإسلامية وكل ما اتصل بها من علوم وآداب .....وقد فتح سلاطينهم أبوابهم في مراكش للعلماء والشعراء الأندلس».[4]

وللأمراء المرابطين مجهودات جبارة في تشجيع وتنشيط الحركة الثقافية وخير دليل على هذا أنَّ يوسف بن تاشفين «كانت له بعض الإسهامات لتكون مراكش مركزا ثقافيا متميزا من الجانب الأدبي واللغوي،بما تشمل عليه من علوم الدين واللغة العربية ومنها أيضا أنه فتح أبواب المغرب أمام حضارة الأندلس ،فبعدما وحَّد البلدين ،وجعلهما وطنا واحدا يتبادل المصالح ،والمنافع (المغرب تبذل حمايتها للأندلس،والأندلس تقدم ثقافتها للمغرب .) جعل مراكش حاضرة المغرب ومقصد العلماء الأندلسيين ومطمح أنظار المثقفين».[5]

كما تنوعت العلوم فأزدهرت الدولة المرابطية وبلغت من التنقيح مايزيدها رفعة فاستقت من كل علم ومن كل منهل وكانت الثقافة حبلها المتين وغدت أعظم دولة بلغت ذروتها من النجاح

[1] الحسن السائح،الحضارة الإسلامية في المغرب،دار الثقافة، الدار البيضاء،ط2، 1686،ص193.

[2] ينظر: حسن أحمد محمود،قيام دولة المرابطين،المرجع السابق،ص382.

[3] عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي،ج1،المرجع السابق،ص67،68

[4] شوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي عصر الدول الإمارات الأندلس،دار المعارف،القاهرة،1989،ص40 ،41

[5] فاتن كوكة، التصنيف اللغوي والأدبي في عصر المرابطين والموحدين 484-670 هـ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، ط1، 2010.

«وقد ازدهرت .... العلوم اللغوية وعلوم الدراسات الإسلامية وكذلك الدراسات الفلسفية».[1]

2.2 العصر الموحدي (الدولة الموحدية 541–668هـ).

وانتهى الحال بالدولة المرابطية والحديث عنها أمام ظهور دولة الموحدين ،التي فرضت سلطتها وكان على القاضي لزاماً عليه طاعتها وبما أن عياض لم يدم فيها طويلاً كذلك لن نسهب في الحديث عنها بحكم أن جل أوضاعها وظروفها لم يعايشها.

ولا عجب في الأمر أن تكون لهذه الحركة القوية قائد يرسي أسسها حريصًا على سقوط المرابطين وهو «محمد بن عبد الله بن تومرت من أهل سوس ينتمي إلى قبيلة هرغة».[2]

"بدأ محمد دعوته آمراً بالمعروف وناهيًا عن المنكر يستميل كثيراً من القبائل إليه وألف لها عقيدة خاصة باللسان البربري وربها تربية إسلامية وعباها تعبئة شاملة ضد دولة المرابطين وقد أطلق ابن تومرت على إتباعه هولاء اسم الموحدين تعريضا للمتونة في أخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم إلى التجسيم".[3]

"ولكن ابن تومرت إلى جانب هذه الصفات الخلابة كان يتسم بطائفة من الصفات المثيرة فقد كان شديد التعصب صارم النفس سفاكاً لدماء".[4]انتهز فرصة اضطراب الأحوال السياسية في أواخر العهد المرابطي والاختلال الشديد الذي مس بلادهم، لإستيلاء أكابر المرابطين ودعواهم إلى الاستبداد"[5].

فشن هجومات على المرابطين ومع أن الأجل لم يسعفه ليكمل ما بدأه فقد ترك لابنه وصية ضالمة لمحو الدولة وطمسها من الوجود، كما أنَّ " أن الأسس الفكرية والعقدية لحركة ابن تومرت بعيدة عن الإسلام الصحيح لا تتفق مع منهج أهل السنة والجماعة الذي كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم ."[6]

[1] شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي عصر الدولالإماراتالأندلس، المرجع السابق،ص41.
[2] ينظر : عبد الواحد المراكشي،المعجب في تلخيص أخبار المغرب،المكتبة العصرية،بيروت،ط1، 2006،ص136.
[3] شفيق محمد عبد الرحمن،شعر الجهاد في عصر الموحدين،مكتبة الأقصى، عمان،الأردن،1984،ص12.
[4] محمد عبد الله عنان،دولة الإسلام في الأندلس،المرجع السابق،ص192.
[5] ينظر: شفيق محمد عبد الرحمن،شعر الجهادفي عصر الموحدين،المرجع السابق،ص11.
[6] علي محمد الصلابي،صفحات من التاريخ الإسلامي دولة الموحدين،ج5، دار البيارق عمان،ص37.

وبالفعل كانت نهاية الدولة الملثمة على يدهم بعد معارك عديدة وتخطيطات واسعة

ومن هذه الاضاءات السابقة نخلص إلى :

للقاضي عياض مكانة هامة في العصر المرابطين وما يؤكد هذا «أن يوسف بن تاشفين عُرف بتعلقه بالفقهاء لذلك أجرى عليهم الأرزاق من بيت المال طوال أيامه كما ابنه كان شديد التعظيم والإجلال لهم يقربهم ويكرمهم».[1]

ومع سقوط الدولة المرابطية سرعان ما تدنت مكانة عياض الذي تمرد على هذه السياسة الباطلة (سياسة الموحدين)،وهذا ما جعل القائد الموحدي يعلن الحرب عليه و يغربه عن وطنه .

«كانت مهمة ابن تومرت صعبة جداً، حيث أنه استهدف دولة عُرفت بجهادها في الصحراء الكبرى وفي إسبانيا وكان لها الفضل بعد الله في توحيد المغرب الأقصى مع الأندلس واستقر حكامها بالصلاح والعدل والجهاد وحب الخير لعموم الأمة».[2]

والمتتبع في أخبار كل من الدولتين يرى أن «كلتاهما قامت على أسس دينية وعلى يد فقيه وداعية متعصب فكانت داعية الدولة المرابطية الفقيه عبد الله بن ياسين وكان داعية الدولة الموحدية المهدي محمد بن تومرت وتحولت كلتاهما إلى ملك سياسي على يد زعيم موهوب وقائد بارع فكان زعيم الدولة المرابطية .... يوسف بن تاشفين وكان قرينه عبد المؤمن زعيم الموحدين ».[3]

ولم يقتصر التشابه بينهما فقط من حيث الإنتماء أو النشأة بل تجاوز إلى الدور الذي لعبته كل منهما في صد العدوان على بلاد الأندلس ، والنزعة التي بينهم « هي فوق ذلك تمثل معركة داخلية قومية تضطرم بين فريقين من القبائل البربرية .... تصطبغ في نفس الوقت بالصبغتين الدينية والقومية ».[4]

إذن كل هاته المواقف والأحوال والأوضاع خاصة الحساسة كفيلة لأن تنبت لنا شخصية فذة بذلت كل ما بوسعها للدفاع عن الوطن،وكان عياض مدين لها لتخط أنامله موسوعة أدبية ودينية تتداول بعده رحمة الله.

---

[1] ابراهيم القادري بوتشيش،مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين،المرجع السابق،ص143.

[2] علي محمد الصلابي،صفحات من التاريخ الإسلامي دولة الموحدين،ج5، المرجع السابق،ص78.

[3] محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، المرجع السابق، ص26.

[4] المرجع نفسه، ص57.

الفصل الأول

دراسة موضوعية لفن التوسل عند عياض

الفصل الاول:

دراسة موضوعية لفن التوسل عند عياض

1 تعريف التوسل

2 أهم المفاهيم المرتبطة بالتوسل

3 أنواع التوسل

إن أعظم غاية من خلق الإنسان هي عبادة الله والتقرب إليه لنيل مغفرته ورحمته ولتحصيل هذا المقصود جعل الله أسبابا للتقرب إليه، فأمر عباده المؤمنين بالتوسل و ابتغاء الوسيلة في قوله تعالى:﴿ **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ** ﴾ [سورة المائدة الآية 35].

بالإضافة لذلك جعل **التوسل** من القربات المهمة لإجابة الدعوات وقضاء الحاجات، بالإضافة إلى أنه متنفس وملاذ لكل البشر، وحتى الشعراء نظموا قصائدهم في التوسل لطلب المغفرة والتعبير عن ضعفهم، والابتهال إلى الله، ومن بين الشعراء نجد **القاضي عياض** أحد رجالات المغرب الذي نظم شعره في التوسل بالله وبالرسول ومدحه عليه الصلاة والسلام والتشفع به، وهذا ما سنتعرف عليه في هذا الفصل.

1. تعريف التوسل:

لقد تعددت وتنوعت تعريفات التوسل وجاءت كالآتي:

1.1. التعريف اللغوي:

جاء في لسان العرب في مادة (**وَسَلَ**):«الوسيلة: المنزلة عند الملك، والدرجة والقربة، يقال: وَسَلَ فلان إلى اللّه وسيلة، معناه: عمل عملا تقرب به إليه، والواسل: الراغب إلى اللّه، كما قال لبيد:

أرى الناسَ لا يَدرُونَ ما قَدرُ أمرِهِمْ بل كل ذي دين إلى اللّهِ وَاسِلُ

وتوسل إليه بوسيلة أي تقرب إليه بعمل ،والجمع الوُسُلُ والوَسَائلُ و التَوسيلُ و التَوسُّلُ واحد»[1].

وفي المعجم الوسيط: «وَسَلَ فلان إلى اللّه بالعمل، يَسلُ وَسْلاً، أي رغب وتقرب، وَسلَ فلان إلى اللّه تعالى بمعنى: عَملَ عَمَلاً تقرب به إليه، والوَاسلُ: الراغب، والواسلة مؤنث الواسلُ، والوسيلة :هي الوصْلة والقربى والدرجة وجمعها وَسَائلُ وَ وُسُلُ»[2]

كما ورد في (مختار الصحاح)للرازي: «الوسيلة بمعنى ما يتقرب به إلى الغير، والجمع الوَسيلُ والوَسَائلُ والتّوسيلُ والتوسُّل واحد»[3].

[1]ابن منظور،أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711ه)، لسان العرب،دار صادر، بيروت، لبنان، ط3،1414ه،مج:11،مادة(وَسَلَ)، ص ص724،725 .

[2]إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع،إسطنبول،تركيا، ج:2،مادة (وَسَلَ) ، ص1032.

[3]الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تعليق:مصطفى ديب البغا، دار الهدى،عين ميلة،الجزائر،ط 4، 1990م، مادة (وَسَلَ) ص 455.

وقال ابن الأثير في (النهاية):في حديث الآذان: «اللهم آت محمدا الوسيلة، هي في الأصل: ما يتوصل به إلى الشيء ويتقرب به والمراد به في الحديث، القرب من الله وهي منزلة في الجنة كما في الحديث»[1].

2.1. التعريف الاصطلاحي:

تبين أن لفظ (الوسيلة)و(التوسُّل) فيه إجمال واشتباه يجب أن تعرف معانيه، ويعطي كل ذي حق حقه، بسبب ما وقع من الاشتراك في الألفاظ ومعانيها، هذا الذي قال شيخ لإسلام بن تيمية فلفظة (**الوسيلة**) مذكور في القرآن الكريم في قوله تعالى:**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**[المائدة:35]،وفي قوله تعالى: **قُلِ ادعُوا الَّذينَ زَعَمتُم مِن دونِهِ فَلا يَملِكونَ كَشفَ الضُّرِّ عَنكُم وَلا تَحويلًا ﴿٥٦﴾ أُولئِكَ الَّذينَ يَدعونَ يَبتَغونَ إِلى رَبِّهِمُ الوَسيلَةَ أَيُّهُم أَقرَبُ وَيَرجونَ رَحمَتَهُ وَيَخافونَ عَذابَهُ إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ كانَ مَحذورًا ﴿٥٧﴾**[الاسراء56،57]

«فالوسيلة التي أمر الله أن تبتغي، إليه وأخبر ملائكته وأنبيائه أن يبتغونها إليه، وهي ما يتقرب إليه من الواجبات والمستحبات»[2].

[1]ابن الاثير،مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والأثر ،أشرف عليه: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري ،دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية الدمام ، ط1421،1هـ، مادة (وَسَلَ) ص 972.

[2]ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة ، تحقيق :عبد القادر الأرناؤوط،الإدارة العامة للطمع،الرياض ،المملكة العربية السعودية ط1 ،1420هـ،1999م،ص 83.

أما لفظ (**التوسُّل**) عند ابن تيمية فيراد به ثلاثة معان :

الأول: التوسل بطاعة الرسول صل الله عليه وسلم، فهذا فرض لا يتم الإيمان إلا به.

الثاني: التوسل بدعائه وشفاعته، وهذا كان في حياته ويكون يوم القيامة يتوسلون بشفاعته.

الثالث: التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم بمعنى الإقسام على الله بذاته والسؤال بذاته، وهذا الذي لم تكن الصحابة يفعلونه لا في حياته ولا بعد مماته[1].

وهناك تعريف آخر للتوسل وهو:«التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته، وإتِّباع أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحيه الله و برضاه»[2].

وفي المفهوم العام للتوسل هو اتخاذ الشيء قربة إلى الله تعالى.[3]

«وكذلك المراد من التوسل،اتخاذ الوسائل للقرب من الله تعالى،فكل عمل أو قول ينتهي بالإنسان للقرب من الله تعالى فذلك الفعل أو القول وسيلة من وسائل الوصول إلى الله تعالى لذلك كان الدعاء، وسيلة وكان الاستغفار وسيلة وكذلك العمل الصالح ومطلق أعمال البر والخير، وهكذا الطواف والسعي من وسائل القرب الإلهي»[4].

[1] ابن تيميه،قاعدة جليلة في التَّوسل والوسيلة، المصدر السابق ،ص 85.

[2] محمد نسيب الرفاعي، التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع،دار لبنان، بيروت، ط3، 1399هـ،1979م،ص20.

[3] مي بنت أحمد بن محمد حسن سكيك، شبهات المتوسلين(عرض ونقد)رسالة الماجستير في العقيدة، إشراف الأستاذ: جابر بن زايد بن عيد السميري، الجامعة الاسلامية، كلية أموال الدين، 1435هـ-2014م، ص 12.

[4] محمد صنقور:فلسفة التوسل ودليل شرعيته، مركز الهدى للدراسات الإسلامية ،نشر في 2005/08/28م، تاريخ الاطلاع:2020/04/22، 19:37سا،http:/www.addthis.com.

أما بالنسبة للفظة الوسيلة في معناها الاصطلاحي فجاءت بمعنى اتخاذ سبب مشروع يقرب إلى الله تعالى، وعبادة يراد بها التوصل إلى رضوانه سبحانه وبما شرعه على لسان رسوله الكريم، لنيل المنزلة العالية عند الله، أو لقضاء الحاجات بجلب نفع أو دفع ضر، أو للحصول على مرغوب في الدنيا والآخرة.

والتوسل إلى الله سبحانه لا يكون إلا بما شرعه تعالى، فالوسيلة مبناها ثلاثة أمور:

1-المتوسل إليه: وهو الله سبحانه وتعالى ذو الفضل والكرم

2-الواسل أو المتوسل: العبد الضعيف الراغب في حاجة له

3-المتوسل به: هو العمل الصالح المتقرب به إلى الله وهو الوسيلة[1].

انطلاقا مما سبق ذكره، وبالنظر في التعريفين اللغوي والاصطلاحي يتضح لنا: أن التوسل جاء بمعنى التقرب إلى الله تعالى بالأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها.واتخاذ الوسيلة المناسبة التي تقربه من الله وتوصله إلى مبتغاه.

[1] عبد الله بن عبد الحميد الأثري، التوسل المشروع والممنوع، دار ابن خزيمة ،تم الاطلاع: 2020/05/22، 23:00سا، http://www.ktibat.com/،ص6.

2. أهم المفاهيم المرتبطة بالتوسل:

هناك عدة مفاهيم ترتبط بالتوسل:

1.2. الاستغاثة:

تعرف الاستغاثة بأنها « طلب الغوث:وهو إزالة الشدة ، كالاستنصار: طلب النصر والاستغاثة:طلب العون،كذلك هي طلب الغوث من الله تعالى من جلب خير،أو دفع شر وهي نوع من أنواع العبادة التي لا تصح إلا الله سبحانه وتعالى»[1].

وفي تعريف آخر للاستغاثة:هي «طلب من النبي عليه الصلاة والسلام قبل أو بعد وفاته أن يدعو الله تعالى في تلبية لحاجة لصاحب الحاجة، فقد طلب الناس منه عليه الصلاة والسلام الاستسقاء في حياته وبعد مماته مع كون المطر بيد الله كما هو معلوم»[2].

1.2 الشفاعة:

هي:"سؤال الخير من الغير"[3].

وجاءت لفظة الشفاعة في قوله تعالى : ﴿**قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾**﴾[الزمر:44].

[1] مي بنت أحمد بن محمد حسني سكيك، شبهات المتوسلين (عرض ونقد)، المرجع السابق،ص ص 23،24.

[2] حسن بن علي السقَّاف القرشي الهاشمي الحسيني الشافعي، الإغاثة بأدلة الاستغاثة ،دار الإمام النووين بيروت،ط4 ،1434،20013م،ص9.

[3] سمير عمر سعيد:الشافعة ميزان الغيب، مجلة كلية الإمام العظم "رحمه الله" الجامعة ، العدد 18 ،1435،2014م، ص 353.

«وتعرف أيضا بأنها التوسط وطلب الرحمة والمغفرة من قبل العبد لربه»[1]، والشفاعة جاءت بمعنى الدعاء والتوسل «فالشفاعة هي دعاء وطلب وسؤال الغير أي أنها بمعنى التوسل، وثبت من الأدلة أن التوسل بفلان: هو طلب الدعاء منه لتقضى حاجاتنا عند الله والاستشفاع بالنبي عليه الصلاة والسلام في حياته أو التوسل به هو طلب الدعاء منه»[2].

3.2. التبرك:

«هو طلب البركة، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته، والبركة في القران والسنة ثبوت الخير ودوامه أو كثرة الخير وزيادته أو اجتماعهما معا، ومن ذلك فمعنى التبرك هو طلب حصول الخير بمقاربة ذلك وملابسته»[3].ولقد جعل الله البركة في أمور عدة منها :

- **ذكر اسمه سبحانه وتعالى** :فقد جاء الحث على ذكر اسمه تعالى في ابتداء الأمور والانتهاء منها،ومن بركاته ما أخبر الله عنها في سورة نوح: **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾**[نوح:الآية 11،10].
- **قراءة القران**: ومن بركاته أن حسناته مضاعفة .
- **التبرك بمجالسة حلقات أهل العلم وطلابه** ومن بركاتهم أن يصيب من جالسهم من الخير الذي يعطيهم الله إياه.
- **التبرك بالنبي**:بأفعاله وذاته فمن بركاته أن يبارك كل شيء يضع فيه يده الشريفة[4]

---

[1] عبد القادر مصطفى عبد الرزاق المحمدي، الشفاعة في الحديث النبوي (دراسة وتخريج)،دار الكتب العلمية ،بيروت،لبنان ،ط1، 1426هـ-2005م ص 23.

[2] مي بنت أحمد بن محمد حسنى سكيك ، شبهات المتوسلين (عرض ونقد)، المرجع السابق، ص 28.

[3] ناصر بن عبد الرحمان بن محمد بن الجديع، التبرك أنواعه وأحكامه مكتبة الرشيد، الرياض، 1411هـ ،ص39.

[4] فهد بن سعد المقرن،التبرك بآثار النبي عليه الصلاة والسلام (دراسة عقدية) مجلة دراسات إسلامية ، تصدر عن وكالة المطبوعات والبحث العلمي العدد 25 ،1432هـ،2015م، ص 19،20،21.

4.2. الرجاء:

«هو ارتياح القلب لانتصار ما هو محبوب عنده، فالرجاء تعلق القلب بمطموع يحصل في المستقبل مع الأخذ بالعمل المحصل له، فمن رجا أن يدرك النعيم الحسي،فعليه بالجد والطاعة والمسارعة إلى النوافل والخيرات وإلا كان رجاؤه حمقا وغرورا. وهو أيضا إحسان الظن بالله تعالى مع تقديم العمل الصالح والإقبال على طاعة الله تعالى والتقرب إليه بالنوافل[1]»،لقوله تعالى : **فَمَن كانَ يَرجو لِقاءَ رَبِّهِ فَليَعمَل عَمَلًا صالِحًا وَلا يُشرِك بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا** ﴿١١٠﴾[الكهف:الآية 110].

لذلك فالرجاء عبادة وحسن ظن بالله «فهو الاستبشار بجود الله وفضله والطمع في إحسانه وعطائه مع بذل الجهد وحسن التوكل والرجاء عبادة قلبية من أعظم العبادات، فابتغاء الوسيلة إليه: طلب القرب إليه بالعبودية والمحبة، وكل مسلم يحتاج إلى الرجاء لأنه يدور بين ذنب يرجو غفرانه وعيب يرجو إصلاحه وعمل صالح يرجو قبوله »[2].

[1] سهاد تحسين، إلياس دولة ، الخوف والرجاء في القران الكريم، رسالة ماجستير، إشراف استاذ: حسين نقيب، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، كلية الدراسات العليا، قسم أصول الدين، 2017م، ص8.

[2] نجلاء جبروني، الرجاء عبادة قلبية، آفاق الشريعة، نشر في: 2017/01/01، تم الاطلاع: 2020/05/27، سا 15:16، https://www.alukah.net/

5.2. الدعاء:

"هو إظهار العبد الافتقار إلى الله"[1]، فالعبد ضعيف وقت الحاجة والدعاء وسيلته لتقرب إلى الله كما أن "الدعاء هو العبادة كما جاء في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم"، والدعاء يجب أن يكون خالصا الله وحده وصرفه لغيره شرك والعياذ بالله وقد تكفل تعالى بإجابة الدعاء اذا تحققت شروطه بدون واسطة"[2]

ونجده في قوله تعالى **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ [غافر: الآية 60]**.

[1] خالد بن عبد الرحمان الجريسي، جوامع الدعاء، تقديم :عبد الله بن عبد الرحمان الجبرين، سلسلة زاد المؤمن (2)،1421هـ ، ص15.

[2] ضياء الدين عبد الله الصالح، إتحاف الموحدين في حكم التوسل بالمخلوقين ، جامع الإسراء والمعراج ،1413هـ-1992، ص 6،7.

3. أنواع التوسل:

شعر التوسل هو ذلك الشعر الديني الذي يصب فيه الشاعر ندمه وعجزه وتقصيره في أداء واجباته الدينية والدنيوية، والخوف من الله وعقابه فيصور حالته النفسية المضطربة في هذا الشعر التوسلي، ولقد لجأ كثير من الشعراء إلى هذا الغرض الشعري الديني في قصائدهم الشعرية، ومن بينهم القاضي عياض، والذي نلمس التوسل بجميع أنواعه في أغلب قصائده كالتوسل بالله، و التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم و التشفع به ،والتوسل بالأولياء والصالحين، وفيما يلي نماذج من شعره:

1.3. التوسل بالله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا:

وهو أن تقدم بين يدي دعائك إلى ربك تمجيدا له وتعظيما وحمدا وتقديساً في ذاته العليا، واسمائه الحسنى، وصفاته العلى ثم تدعو بما بدا لك ، ليكون هذا التقديس والتحميد وسيلة إليه سبحانه ليتقبل ويجيب دعاءك وتنال مطلوبك[1].

وهو أيضا كقول المسلم في دعائه: «اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمان الرحيم اللطيف الخبير أن تعافيني» .أو يقول: «اللهم إني أسالك بحبك لمحمد صلى الله عليه و سلم»، فإن الحب من صفاته تعالى، وجاء في قوله تعالى ﴿والله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[الأعراف: الآية180]، بمعنى أدعو الله متوسلين إليه بأسمائه وصفاته الحسنى[2].

[1] محمد نسيب الرفاعي،التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، المرجع السابق،ص 25.

[2] محمد ناصر الدين الألباني، التوسل أنواعه وأحكامه، تحقيق: محمد عيد العباسي، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1421،1هـ-2001م،ص 30.

ومنه نجد الشاعر القاضي عياض في شعره يتوسل إلى الله تعالى متبتلا ،معترفا بذنوبه ،راجيا غفران ربه فيقول :[المجتث].

إِلَيْـــــكَ يِـــــؤْتُ بِـــــذَنْبِيٍّ فَـــــاِغْفِرْ خَطَايَـــــايَّ رَبِّي
وَامْـــــنِنَّ عَلِـــــيَّ بِلُطْـــــفٍ تُخْـــــبِرُ بِـــــهِ صَـــــدْعُ قَلْـــــبِي
فَقَـــــدْ رَكَّبَـــــتْ ذنوبـــــا سَـــــوَّدَتْ مِـــــنْهُنَّ كَتَـــــبِّيٍّ
وَطَـــــالَ تَقْصـــــيرُ سَـــــعِّيِي فِي كُـــــلِّ فَـــــرْضٍ وَنَـــــدَبٍ
وَقَـــــدْ أَسَـــــأْتُ فَأَحْسَـــــنَ فَلَـــــمْ تَـــــزُلْ مُحْسِـــــنًا بِي
وَجِئْـــــتُ اِطْلَـــــبْ تَوِبَـــــا إِذَا ضَـــــاقَ بِالـــــذَّنْبِ رَحْـــــبِيٌّ
فَأُقْبُـــــلْ بِفَضْـــــلِكَ تَـــــوْبِيٌّ وَاِغْفِـــــرْ يرحمـــــاك ذَنْـــــبِيٌّ
وَعَـــــافَنِي وَأُعْـــــفُ عَـــــنِيَّ أَنْـــــتَ يَـــــارَبِّ حَسَـــــبِيٌّ[1]

«فهو يعترف لربه بأنه مذنب آملا في أن يغفر له خطاياه ،إنه غفار الذنوب ، ويدعو و أن يمن عليه بلطفه المعهود، حتى يجبر ما حدث في قلبه من صدع، فقد ارتكب ذنوبا كثيرة سودت كتبه، ويقول إنه جاء ضارعا إلى ربه يطلب منه أن يقبل توبته ، ويغفر ذنبه برحماه، فهو أرحم الراحمين ، ويسأله العافية والعفو عنه ، فإن ربه قابل التوب وغافر الذنب[2]» .

[1] القاضي عياض،الديوان،، ص40.

[2] شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،عصر الدول و الامارات، (لجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا، السودان)المرجع السابق ،ص 463.

ثم مرة أخرى نجد الشاعر يواصل التوسل بالله تعالى والالتجاء إليه، حيث يقول :[السريع]

يَـــــارَبِّ يـــــاالله يَـــــا سَـــــيِّدِي ويـــــاعليم الْغَيْـــــبَ مُسْـــــتَتِرْ

إِنَّ لَمْ تُـــــدَارِكنِّي بِلُطْـــــفٍ فِيَـــــا خَسَـــــرِيٌّ، وياخيبـــــة مَـــــنْ يَخْسَـــــرُ

فَلِـــــي ذُنُـــــوبُ أَثْقَلَـــــتْ كَـــــاهِلِيٌّ إِنَّ لَمْ تَكُـــــنْ تَغْفِـــــرُ، مَـــــنْ يَغْفِـــــرُ

يَـــــا مُسْـــــتَجِيبَا دَعْـــــوَةِ الْمُبْتَلِّـــــيِّ وَدَعْـــــوَةَ الْمُضْـــــطَرِّ إِنْ يُجَـــــارِ

فَأَنْـــــتَ :قَلَّـــــتَ اِسْـــــتَغْفَرُوا رَبَّكُـــــمْ إِنَّـــــنِي جِئْتُـــــكَ أَسَـــــتَغْفِرُ[1]

ففي الأبيات توسل والتجاء إلى الله، فهو سيئال الله بأسمائه وصفاته وذلك من خلال قوله : يا رب، عليم الغيب، غافر الذنب، مجيب دعوة المبتلى ودعوة المضطر، وذلك لنيل مرغوبه ولتقضى حاجته.

[1] القاضي عياض،الديوان، ص 52.

2.3. التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم :

مدح الشعراء النبي الكريم في قصائدهم وتوسلوا به وطلبوا شفاعة منه، ومن الشعراء نجد القاضي عياض الذي كان من أوائل شعراء المغرب الأقصى في عصر المرابطين حبا شغفا بالسيرة النبوية وكتابه "**الشفا بتعريف حقوق المصطفى**" خير دليل على ذلك ، فهو من المؤلفات المشهورة لعياض والتي أسلفنا ذكرها، كما نجد له أشعارا في التوسل بالمصطفى صلى الله عليه وسلم التشفيع به ومدحه.

حيث يقول متوسلا بالرسول صلى الله عليه وسلم طامعا في رحمة الله وفضله :[بحر الطويل]

إِلَيْكَ مَدَدْتُ الْكَفَّ أَسْتمطرَا الْفَضْلَا وَ استكشف الْبَلْوَى وَاسْتَعْطِفُ الطُّولَا
دَعَوْتُكَ مُضْطَرًّا فَعَجَلَ اجابتي بِتَفْرِيجِ كَرِبَ، طَالَمَا وَصْلُ الْهَوْلَا
عَلَيْكَ اِعْتِمَادِيُّ فِي جَمِيعِ مَقَاصِدِيِّ وَإِلَيْكَ رَفَعَتِ الْأَمْرَ وَالْقَوْلَ وَالْفِعْلَا
وَأَنْتُ مَلَاَذِيٌّ، يامرادي وَسَيَدِي فَسَامَحَ مُسِيئًا، قَدْ جَنَى الْجَدُّ وَالْهَزِلَا
نِدَاءً مِنَ الْأَعْمَاقِ يافالق النَّوَى وياسامع النَّجْوَى وَ يَامِنْ هُوَ الْأَعْلَى
يُتَيِّمُ مِنَ الطَّاعَاتِ عَفْوَكَ يَرْتَجِي قه الْفَقْرَ وَالْإِفْلَاَسَ، وَالْفَقْدَ وَ الذُّلَّا
إِلَهِيٌّ لَكَ الشَّكْوَى بِقَوْمٍ تسربلوا رِدَاءً مِنَ الْبَلْوَى أَذَاعُو بِهِ الْوَيْلَا

سألتك يالمختار

بِجَاهِ رَسُولِ اللهِ فَأُرْحُمْ تَضَرُّعِيٌّ وَنَفْسُ همومي كلهاالفرع والأصلا
لَجَّأَتْ إِلَى بَابِ الْكَرِيمِ لِفَاقَتِي فَلَيْسَ لَنَا مُغَنٍّ سِوَاهُ ولامولى
كَئِيبَا غَرِيبَا بِافْتِقَارِ وَضَيْعَةٍ ذَلِيلَا حَقِيرًا، أَهْمَلَ الْفَرْضُ وَالنَّفَلَا
فَأَنْزَلَ عَلَيْهُمْ منعلاك صواعقا تُصَيِّرُ مُدَى الأعمار أَخْبَارَهُمْ تُتْلَى
وَصَلَ عَلَى قُطْبِ الْوُجُودِ مُحَمَّدٌ صَلَاَةً تَعُمُّ الرَّسُولُ، وَالصَّحْبَ والأهلا
وَسَلَّمَعَلَيْهُمْ، وَ اِرْضَ عَنْهُمْ وَ جَارِهُمْ عَنَا وَعَن الْإِسْلَامُ مَاَهُمْ بِهِ أَوْلَى[1].

«فهو يتوسل ضارعا إلى الرسول الكريم قائلا: إليك مدت كفي أستمطر و أستنزل الفضل طالبا كشف ما نزلبي من البلوى مستعطفا الفضل الكريم ، ويقول وقد دعوتك مضطرا فأجب دعائي عاجلا بتفريج كرب طالما شقيت به وبلغ بي هولا ما منه هول، وأنت ياسيدي يارسول الله ملاذي ومقصدي، فسامحني: سامح مسيئا ، ويستغيث بربه قائلا :أنه نداء من أعمق الأعماق في نفسي يافالق الحب عن النبات والنوى

[1] القاضي عياض، الديوان، ص 88.

عن النخيل وسامع النجوى الخفية يارب لأعلى إنني يتيم من الطاعات .والذنوب تثقل ظهري فارحم تضرعي بجاه رسول الله وفرج همومي وقد لجأت إلى بابك أيها الكريم لفاقتي وانك وحدك المغني وليس لنا مولى سواك ، ربي صل على قطب الوجود ومداره وسيده صلاة تعم الرسل وصحبه وآله»[1].

[1] شوقي ضيف،تاريخ الأدب العربي،عصر دول الإمارات، والمغرب الأقصى، (الجزائر، موريتانيا، السودان)،المرجع السابق،ص 476.

وفي زيارة له إلى المقام النبوي الشريف جاءت هذه القصيدة الطويلة يناجي ويتوسل بهذا المكان المقدس فيقول :[السريع]

يَـــا عَـــيْنُ هَـــذَا السَّـــيِّدُ الْأَكْبَـــرُ وَهَـــــذِهِ الرَّوْضَـــــةُ وَالْمِنْبَـــــرُ
فَشَـــاهِدِيٌّ فِي حَـــرَمِ الْمُصْـــطَفَى مَـــنْ نَـــوَّرَهُ السَّـــاطِعِ مَـــا يَبْهَـــرُ
يـــــاعين، ذَا ماكنـــــت تَبْغِيَنَّـــــهُ فَمَـــــا لِأَجْفَانِـــــكَ لَا تَمَطُّـــــرُ
هَـــــذَا مَقَـــــامِ المجتـــــبي أَحْمَـــــدٌ فَمِثْلُـــــهُ الْأَعْـــــيُنَ لَا تَنَظُّـــــرُ
وَأَيَّ فَهْـــــمٍ فِيـــــهِ لَا يَنْجَلِـــــي؟ وَأَيَّ كَسْـــــرٍ فِيـــــهِ لَا يُجْـــــبِرُ
وَدَّتْ نُجُـــومُ الْأُفُـــقِ لَـــوْ أَنَّهَـــا كَانَـــتْ قَنَادِيـــلُ بِـــهِ تُزْهِـــرُ
مَاكَـــانِ أَهْنَـــا مُهْجَـــتِي لِوَغْـــدَتْ مَوْطُـــوءَةَ فِيـــهِ لِمَـــنْ يَخْطُـــرُ
كُـــلَّ مَقَـــامِ قـــدسمَا قَـــدْرَهُ فِي هَـــذِهِ الْحَضْـــرَةِ مُسْتَصْـــغِرٌ
تَجْمَـــعُ الْفَضْـــلُ بِهَـــا وَالنَّـــدَى وَالْجُـــودَ وَ السّـــودَدُ وَالْمَتْجَـــرَ.
إِلَى ثَرَاهَـــا الزَّعْفَـــرَانَ المنتهـــي وَمِـــنْ شَـــذَاهَا الْمَسْـــكَ وَالْعَنْبَـــرَ
قَـــدْ حَسَـــدَتْهَا سِـــدْرَةُ الْمُنْتَهَـــى لَمَّـــا حـــوتٍ وَالْفَلَـــكُ الْأَنْـــوَارَ
وَالْكَعْبَـــةَ الْغَـــرَّاءَ وَ الْمُنْحَـــنَى وَالْحَجَـــرَ، وَالْأَسْـــتَارَ، الْمَشْـــعَرَ[1].

ومن خلال هذه الأبيات، فالشاعر يبدي مدى سعادته وهو في ذلك المقام النبوي الشريف وحرم المصطفى، فهو يمتع ناظريه بهذا المكان المقدس ويقول إن هذا ما كانت تتوق نفسه إليه و عينيه لرؤيته ، ويتبرك بآثاره الشريفة كالكعبة والحجر والأستار والمشعر، فهذا المقام المحمود هو جبر لكل كسر

[1] القاضي عياض،الديوان، ص 50.

وفي نفس القصيدة كذلك نجد الشاعر يتوسل إلى الله تعالى بالرسول بذكر صفاته وطلب الشفاعة منه في قصيدة طويلة، والتي يقول فيها :

بَاسِمُـــكَ يَـــا رُبَّ قَرِنَـــتْ أُسَمِّـــهِ فَإِنْـــــهَ يُـــــذَكِّرُ إِذْ تَـــــذَكُّرِ
صَـــفَّاتِهِ الْعَلْيَـــاءَ، كُـــلَّ الْـــوَرَى عَـــنْ حَصْـــرِهَا، وَالْقُطْـــرَ لَا يَحْصُـــرُ
مِـــنْ خُصِّـــهِ اللهَ، تَعَـــالَى اِسْمُـــهُ بِقَوْلِـــهِ :فَأُصَـــدِّعُ بِمَـــا تـــومر
بِـــدُرِّ دُجًـــى، أَصْـــحَابَهُ أَنْجُـــمٌ بِحُـــرٍّ نَـــدًى، أَنَمْلُـــهُ أَبْحُـــرٌ
يَـــامِنٌ لَـــهُ جَـــاهُ عَظِـــيمُ، وَمِـــنْ لَـــهُ لِـــوَاءُ الْحَمْـــدِ وَالْكَـــوْثَرِ
يَـــا أَرْفَـــعَ الْخَلْـــقِ مَقَامًـــا، وَيَـــا أَجَـــلْ مَـــنْ يُنْهِـــى، وَمَـــنْ يَـــأْمَرُ
يَـــا رَحْمَـــةَ اللهِ، وَيَـــا شَـــافِعًا وَالنَّـــاسَ فِي حَشْـــرِهِمْ خَيْـــرٌ
ذَخـــيرَتِي حُبَّـــكَ يامصـــطفى فَإِنَّـــهُ أَفْضَـــلُ مايـــذخر
فَبالْحَشَـــا دَاءَ مُقِـــيمَ ولَا يَشْـــفِيهِ إِلَّا مِـــنْ بِـــهِ أَخَبَـــرٌ
قَـــدْ عَجَّـــزَتْ عَـــنْ طِبِّـــهِ قَـــدَّرْتِي رَفَعَـــتْ شَـــكْوَايَ لِمَـــنْ يُقَـــدِّرُ
وَقَـــدْ تَوَسَّـــلَتْ إِلَى اللهِ فِي شِـــفَاءَ دَاءٍ بِـــكَ يامنـــذر
فَاشْـــفَعْ، فَـــانِي بِـــكَ مستشـــفع وَانْصُـــرْ، فَـــانِي بِـــكَ مُسْتَنْصِـــرٌ
وَارْحُـــمْ، فَـــانِي بِـــكَ مســـترحم وَاجْبُـــرْ، فَـــإِنِي بِـــكَ مســـتجبر
وَاعْطِـفْ عَلَـى الْعَبْـدِ الْمُسِـيءِ الَّـذِي أَتـــى لإحســـانك يَسْـــتَمْطِرُ
يَرْجُـــو نَـــدَى رُحْمَـــاكَ يَـــاذَا الْعُـــلَا فِي مَوْقِـــفِ أَهْوَالِـــهِ تَـــذْعَرُ
فَـــلَا تُخَيِّـــبْ فِيـــكَ تأميلـــه فَأَنْـــتَ فِيـــهِ الشَّـــافِعَ الْأَكْبَـــرَ[1]

وفي هذه القصيدة يصف فيها الشاعر الرسول صلي الله عليه و سلم معترفا بذنوبه وضعفه وتقصيره ويرجو رحمة الله وشفاعة نبيه الكريم، فالرسول صلى الله عليه و سلم هو الشافع الأكبر يوم القيامة، فيعبر عن حبه للرسول الكريم في شعره من خلال مدحه والتوسل به.

[1] القاضي عياض،الديوان، ص51،52.

وفي حضرة المختار وروضته الطاهرة، يتوسل الشاعر بالرسول صلى الله عليه ويمدحه في طلب الشفاعة منه لأنه شفيع الخلائق فيقول:[البسيط]

بَشَّـــرَاكَ قَلْـــبِيُّ هَـــذَا سَـــيِّدُ الْأُمَـــمِ وَهَـــذِهِ حَضْـــرَةِ الْمُخْتَـــارِ فِي الْحَـــرَمِ
وَهَـــذِهِ الرَّوْضَـــةِ الْغَـــرَّاءِ طَـــاهِرَةً وَهَـــذِهِ الْقُبَّـــةِ الْخَضْـــرَاءِ كَـــالعَلَمِ
وَمِنْبَـــرَ الْمُصْـــطَفَى الْهَـــادِّيِّ وَحَجَرَتِـــهِ وَصَـــحِبَهُ، والبقيـــع دَائِـــر بِهُـــمْ
قُطْـبٌ وَغِـبٌّ عَـنْ همـوم كُنْـتُ تَعَرُّفَهَـا وَسِـلْ تَنُـلْ كُـلُّ مَـا تَرْجُـوهُ مِـنْ كَـرَمِ
ياســـيدي يَارَسُـــولَ اللهَ خُـــذْ بِيَـــدِيِّ فَالْعَبْـــدَ ضَـــيْفٌ، وَضَـــيْفَ اللهِ لَمْ يَضِـــمْ
ياســـيدي يَارَسُـــولَ اللهَ خُـــذْ بِيَـــدِيِّ يَـــامِنٌ لِقَاصِـــدِهِ أَمِـــنْ مِـــنَ الـــنِّقَمِ
ياسـيد الرِّسْـلَ يَـامِنَ ضَـيْفِ سَـاحَتِهِ يَبِيـتُ فِي الْأَمْـنِ فِي خَـيْرٍ وَفِي نَعَـمْ
يـــاأكرم الْخَلْـــقَ مِـــنْ حَـــافٍ وَمُنْتَعِـــلٍ ياأفضـــل النَّـــاسَ فِي ذَاتُ وَفِي شِـــيَمِ
يَـا أَشْـرَفَ الْأَنْبِيَـاءِ، يَـامِنَ شَـفَاعَتِهِ عَمَّتْ عَلَى الْخَلْقِ فِي الْوِجْدَانِ وَالْعَدَمِ
إِنَـــا فَقِـــيرَ إِلَى عَفْـــوٍ وَمَرْحَمَـــةٍ وَأَنْـــتَ أَهْـــلُ الرِّضَـــى ياسـيدي الْأُمَـمَ
فَقَـــدْ أَتَيْتُـــكَ أَرْجُـــو مِنْـــكَ مُكَرَّمَـــةً وَأَنْـــتَ أَدَرَى بِمَـــا فِي الْقَلْـــبِ مِـــنْ أَلَمْ
وَالْحَـالَ يُغَـنِّي عَـنِ الشَّـكْوَى إِلَيْـكَ وَقَـدْ عَرَّفَـــتْ، حَـــالِيٌّ وَإِنَّ لَمِ اِحْكِـــهِ بِفَـــمِ
فَاشْـفَعْ لِعَبْـدِكَ، وَاُجْبُـرْ قَلْبَـهُ فَلَكُـمْ أَوْدَى بِـهِ الْكَسْـرُ مِمَّـا نَـالَ مِـنْ جُـرْمِ[1]

في بداية القصيدة يذكر الشاعر حضرة المختار في الحرم وروضته الطاهرة ، ثم ينتقل إلى مدح هو ذكر صفاته وخصاله الحميدة ،فهو سيد الرسل وأكرم الخلق وأفضل الناس وأشرف الأنبياء، ثم يتوسل به ويرجو شفاعته ليجبر قلبه ويأخذ بيده إلى بر الأمان.

[1] القاضي عياض،الديوان، ص93.

وفي نفس القصيدة و إلى جانب توسله بالنبي الكريم وصفاته نجده يتوسل بالصحابة رضوان الله عليهم فيقول:

يَـا أَحَمِـدَ يَـا أَبَـا بِكْـرِ وَيَـا عُمَـرٍ ... نُـزِيلُكُمْ فِي أَمَـانِ غَـيْرِ منهضـم
وَ قَـدْ سَـعَيْتُ إِلَى أَبْـوَابِ حَجَـرَتِكُمْ ... سَعَيَا عَلَى الرَّأْسِ لَاسِعيا عَلَى الْقَدَمِ
أَتَـى لِأُمِّ الْقُـرَى يَرْجُـو الْقِـرَي كَرَمًـا ... مِـنْ سَـادَةٍ هُـمْ بَحَّـارُ الْفَضْـلِ وَالْكَـرَمِ
فَـإِنْ قَبَّلَـتْ فِيهَـا إِنِّي بِكَـمْ فَـرَحٍ ... فِي زُورَتِي وَاِغْـتِرَابِيِّ وَافِـرِ الْقِسْـمِ
يَـامِنْ أَجَـلْ مُلُـوكَ الْأَرْضِ قَاطِبَـةً ... فِي بَـابِ أَفْضَـلِهِمْ مِـنْ أَصْـغَرِ الْخَـدَمِ
فَهَـلْ عَسَـى نَظَـرَةٌ مِـنْكُمْ لِقَاصِـدِكُمْ ... يُغَـنِّي بِهَـا عَـنْ جَمِيـعِ الْخَلْـقِ كُلَّهُـمْ
مُحَمَّـدٌ وَصَـحِيبَاهُ الَّـذِينَ بِهُـمْ ... طبناوغبنـا عَـنِ الْخَسْـرَانِ وَالنَّـدَمِ
ثَلَاثَـةَ بـثلاث فِي الْـوَرَى عَرَّفُـوا ... بِـالْعَفْوِ وَالْفَضْـلِ وَالْوَقَـاءِ لِلـذِّمَمِ
يَـارَبِّ يَـارَبِّ يـامولاي عَبَّـدَكَ فِي ... بَـابَ الرجـا يَرْتَجِـي أَمْنًـا مِـنَ الـنِّقَمِ
ثُمَّ الصَّـلَاةُ عَلَـى الْمُخْتَـارِ مِـنْ مُضِـرٍّ ... خَيْـرَ الْبَرِّيَّـةِ مِـنْ عُـرْبٍ وَمَـنْ عَجَـمِ
مُحَمَّـدَ الْمُصْـطَفَى والآل ثُمَّ عَلَـى ... أَصْـحَابَهُ ماسـرى رَكَّـبَ لِـرُبُعِهِمْ[1]

وأيضا نجد موضوع الحكم والمواعظ في شعر القاضي عياض، من ذلك قوله: [الكامل]

يَـا طَالِـبَ الْعِلْـمِ اِسْتَمَعَ قَـوْلُ أُمَرِّئُ ... مَحْـضِ النَّصِـيحَةِ لِلْمُرِيـدِ الرَّاغِـبِ
الْعِلْـمُ فِي أَصْـلَيْنِ لَا يَعْـدُوهُمَا ... إِلَّا الْمُضِـلُّ عَـنِّ الطَّرِيـقِ اللَّاحِـبَ
عِلْـمُ الْكِتَـابِ وَعِلْـمُ الْآثَـارِ الَّـتِي ... قَـدْ أُسْـنِدَتْ عَـنْ تَـابِعٍ عَـنْ صَاحِبِ
جَـاءَتْ بِهَـا الْأَثْبَـاتُ عَـنْهُمْ وَاِعْتَنَـتْ ... بِمَسَـانِدٍ وَ مَرَاسِـلٍ وَ غَرَائِـبٌ[2]

[1] القاضي عياض، الديوان، ص94.
[2] المصدر نفسه،ص 32.

3.3. التوسل بالأولياء والصالحين:

«الصالحون هم المؤمنون، أصحاب الأعمال الصالحة القائمون بحقوق الله تعالى وعباده، والمستقيمة أحوالهم. وقد يسمى الصالحون بالأولياء، لأن أولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى، وسخطوا بما يسخط وأمروا بما يأمر، ونهو عما نهى. »[1]

ونجد عياض بتوسل بالأولياء والصالحين ويستغيث بهم فيقول في هذه الابيات:

أَوْلِيَـــــــــاءُ اللهِ إِنِّي مَـــــــــرِيضِ وَالـــــــدَّوَاءُ لـــــــديكم والشـــــــفاء
فَـــأُنْظُرُوا لِي بِفَضْـــلِكُمْ فِي عِلَاجِـــيٍّ وَامْنَحُـــونِي بِفَضْـــلِكُمْ مَـــا أَشَـــاءَ
كَـــمْ أَرَى فِي حمـــاكمو مِـــنْ سَـــقِيمِ زَالَ عَنْـــهُ سُـــقْمٌ بِـــهِ وَ الشَّـــقَاءُ
كَـــمْ أَغَثْـــتُم عَلَـــى الـــدَّوَاءِ مَرِيضَـــا فِي فِـــرَاشٍ وَقَـــدْ كَفَـــاهُ النِّـــدَاءُ
أَنْـــتُمِ الْبَـــابُ وَ الْإِلَـــهُ كَـــرِيمٍ مَـــنْ أَتَـــاكُمْ لَـــهُ الْمُـــنَى وَ الْهَنَـــاءُ[2].

[1] ناصر بن عبد الرحمان بن محمد الجديع ، التبرك أنواعه وأحكامه، المرجع السابق ،ص 91.
[2] القاضي عياض ،الديوان ،ص37.

خلاصة الفصل:

وصفوة القول أن التوسل عبادة قلبيه، يعني بها التقرب إلى الله بما يرضاه من الأفعال والأقوال بغية تحقيق مرغوب في الدنيا أو الآخرة.

تتعدد أنواع و التوسل فهناك :التوسل بالله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، وهناك التوسل بالرسول صلى الله عليه وسلم والتوسل بالأولياء والصالحين، وقد أصبح التوسل غرضا شعريا ودينيا نظم فيه العديد من الشعراء ومن بينهم القاضي عياض إذ جاءت قصائده توسليه معبرة عن ضعفه وتقصيره ومعترفا بذنوبه مظهرا حالة الندم والعجز والانكسار طالبا غفران ربه .

الفصل الثاني

دراسة فنية في شعر القاضي عياض

1. اللـــغـة:

استطاعت اللغة أن تكتسي أهمية كبيرة في الساحة الأدبية ،لما تحمله من غاية تواصلية يحتاجها الإنسان ،في علاقاته أو في صناعته الفنية، وبما أن اللغة «هي صورة وجود الأمة بأفكارها ومعانيها وحقائق نفوسها ،وجوداً متميزاً قائماً بخصائصه، فهي قومية الفكر تتحد بها الأمة».[1]

ومما لاشك فيه أن «كل لغة هي في ذاتها فن جمعي في التعبير ، وتنطوي على عدد معين من العوامل الجمالية، والصوتية والإيقاعية ، والرمزية ، والصرفية ».[2]

وبما أننا بصدد دراسة شعر القاضي عياض والاهتمام بلغة الشعر باعتبار أن الشعر هو المحرك الأساسي ، والعين النضاحة لها، والذي له الفضل في توليد العديد من الدلالات التي يتحكم بها الشاعر. وهذا ما أفصح عنه إبراهيم السامرائي في حديثه عن لغة الشعر أنها« لغة فنية ينبغي لها أن تصل إلى معانٍ خاصة بشيء من الرمز أو الإيماء أو الإشارة أو اللمحة».[3] وبالتأمل في وظيفتها يجد أنها« استطاعت .... التعبير بقدرة فائقة عما في العقل والقلب وبما في الطبيعة من أفكار وعواطف خلال العصور المتعددة دون أن تستنفذ قوتها أو أن يصيبها إعياء أو قصور».[4]

وما نلتمسه من خلال قراءتنا لأشعار القاضي من الوهلة الأولى، نجد أنها لغة سهلة سُبكَتْ فأُحْكِمتْ، أجاد صياغتها ،تعانقت ألفاظها مع حالته النفسية ، برع في اختيار الألفاظ والتصوير وهنا يكون قد أدى وظيفة اللغة الحقيقية ، ألا وهي التعبير وكذا التأثير، والإقناع ،إضافةً إلى الصبغة الجمالية التي اكتستها ألفاظها ومعانيها .

[1] مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم،ج3،المكتبة العصرية، سيدا بيروت،ص28.

[2] خديجة بصالح، علاقة اللغة بالأدب، حوليات التراث، العدد 06،جامعة مستغانم ،الجزائر،2006،ص18.

[3] إبراهيم السامرائي، في لغة الشعر، دار الفكر،عمان،ص3 .

[4] وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر،دمشق،ط1، 1983،ص07.

ومن المعلوم أن نظمه كله في سيد الخلق محمد صلَّى الله عليه وسلم، فكيف لا يحسُن شِعره ؟

فإنَّ أجل ما يصرف الشاعر وقته إنَّما يكون في مدح النبي والبوح بحبه والشوق له. فكانت ألفاظه تناسب موضوعاته المطروحة.

«فاللفظ هو الصياغة الشكلية والهيكل التركيبي في العمل الأدبي، والمعنى هو الفكرة المجردة التي تفي بالغرض».1

والشاعر قد أحسن استخدام الألفاظ وتركيبها ،بكل دقة وخير دليل على هذا مقطوعته الآتية :

يـــا مَـــنْ تحمَّـــلَ عـــنِّي غـــيْر مكـــترِثٍ لكِنَّـــهُ للضَّـــنَى والسَّـــقم أوْصَـــي بِي

تـــركْتَنِي مُسْـــتهَامَ القلـــب ذاَحـــرق أخَـــا جـــوَى وتبَـــاريحٍ وأوْصَـــابِ

أراقـبُ الـنَجمَ في جُـنحِ الـدُجَى سـهراً كـــأنَّنِي راصِـــدٌ للـــنجْم أوْصَـــابِي

ومـا وجَـدتُ لذيـذَ النَّـوم بعـدَ كُمُـو إلاَّ جـنى حَنْظـلٍ في الطُعـم أوْصَـابِ."2

وتوظيفه لهاته الكلمات(أوصى بي،أوصاب، أوصابي، أوصاب) * .تُبرز براعته في التحكم في الألفاظ والمعاني حيث تشابه هاته العبارات لايعني أنها أدت نفس المعنى ، بل كل لفظة منها تحمل دلالة معينة . وهنا الشاعر تلاعب باللفظة ومعناها والقارئ من خلال قراءته السريعة ، يتهيأ له أن هاته القصيدة ماهي إلا تكرار لبعض الكلمات ، كما لا يخفي علينا أن الألفاظ التي إختارها الشاعر ألفاظ قوية تُحدثُ في النفس أثراً واضحاً ، فحرف الصاد له صدى ينتبه إليه كل قارئ أو سامع .

وهذا يجعلنا نؤكد قول الرافعي أن :« الدقة في تركيب اللغة دليل على دقة الملكات في أهلها ».3

[1] محمد حسين، نظرية النقد العربي،دار المؤرخ العربي،بيروت،لبنان،ص42.

[2] القاضي عياض،الديوان،ص42.

* أوصى بي:من الوصية، أوصاب: جمع وصب وهو المرض والوجع الدائم ونحول الجسم، صابي:صابئ واحد من الصابئة أو الصائبين وهي طائفة دينية تعبد النجوم، الصاب الصبر وهو مر . الديوان، ص42.

[3] مصطفى صادق الرافعي،وحي القلم،ج3،المرجع السابق،ص28.

كما اعتمد الشاعر على الألفاظ السهلة التي صاحبت كل مقطوعاته ومثال ذلك :

تَقاعَـدْ عــن الأسـفارِ إن كنْـتَ طالِبـاً نجَـاةً ففـي الأسْـفارِ سـبعُ عوائـقِ
تشُّـوقُ إخـوانٍ وفقْـدُ أحبَّـة وأعظَمُهـا يـا صـاح سـكنَى الفنـادقِ
وكثـرَةُ أيحـاشٍ وقلـةُ مـؤنس وتبـذيرُ أمـوالٍ وخِيفـة سـارقٍ
فـإنْ قيـلَ في الأسَـفارِ كسـبُ معيشـةٍ وعلـمٍ وآدابٍ وصـحبةِ وامـقِ
فقـلْ : كـان ذَا دهـراً تقـادَمَ عصْـرُهُ وأعقَبَـهُ دهـرٌ شـديدُ المضـايقِ
فهـذا مقـالي والسـلامُ كمـا بـدا وجرِّبْ فقي التجريب علمُ الحقائقِ "1

فلفظة كل من (الأسفار ـ طالبا ـ معيشة ـ علم ـ آداب)كلمات واضحة سهلة خالية من التعقيد ، ومعناها خال من الغموض ،يفهمها العامة دون الاستعانة بقاموس ، ولا تحمل أي رمز أما عن الجانب الموضوعي الذي تطرق إليه الشاعر، نجد أن كل موضوعاته وأشعاره التي نظمها ما هي إلا مرآة تعكس حياته، وكل مواقفه وتقلباته ،التي عايشها من ألم وفرح ،من غضب ،وكل انفعالاته أعادها بصبغة أدبية ، وبأفكار مرتبة ، ومعاني منظمة .

يقول في تجربته :

أقُمْرِيَّـةُ الأدْواحِ بـاللهِ طـارِحِي أخَـا شَـجَنٍ بـالنَّوْحِ أوْ بغنـاءِ
فقـد أرقتـني مـن هـديلك رنـة تُهـيِّج مـن برْحِـي ومِـنْ بُرحـائِي"2
لعلَّـكَ مثْلـي يـا حمـامُ فـإنَّ غريـبٌ "بـدايٍ* " قـد بليـتُ بـداءِ.
يُـذكِّرُنِي سَـحُّ المِيَـاهِ بأرضـها دموعـاً أُريقـتْ يَـوْمَ بِنْـتَ ورائِـي"3

[1] القاضي عياض،الديوان،ص75.
[2] المصدر نفسه،ص39.
*داي:قرية ببادية تادلة ،غُرِّبَ عنها معاقباً في عهد الموحدين .ينظر: الحسين محمد بن شواظ، القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقتها.المصدر السابق ،ص161.
[3] ينظر :القاضي عياض، الديوان،ص39.

فهو هنا يفضح عن ألمٍ ألمَّ به تجرع الشوق لفراق خلانه وأصحابه، حين غرب عن سبتة، فمرور الحمام (أقُمْرية) قد أحدث في نفسه الشجن، فنراه يخاطبها ويشتكي إليها مرارة التغرب، ظناً منه أنها تحمل نفس معاناته كما ينتقل في بيت الأخير من نفس القصيدة يستحضر الطبيعة الحية والصامتة. ويستأنس بها وتشهد هي كذلك عن حُرقة قلبه، فاجتمع كل من البراعة، وحسن التصوير في هذا البيت ليصف الشوق الغلاب يوم الفراق.

ويتجدد الألم في مقطوعة أخرى يصف فيه حاله الذي آل إليه من شِدَّةِ الحنين:

أقُــول وَقَــدْ جَــدَّ ارتِحــالِي وغــرَّدَتْ حُــــدائِي وزُمَّــــتْ للفِــــراقِ ركــــائِبِي
وقــدْ غمصــتْ مِــن كَثْــرةِ الــدَّمعِ مُقْلــتِي وصــــارَتْ هــــواءُ مــــنْ فــــؤادِي تــــرائِبِي
ولمْ تبْــــــقَ إلَّا وقْفَــــــةٌ يسْــــــتَحثُّها وداعِــــــي للأحْبــــــابِ لا للحَبَائِــــــبِ
رَعَــــى الله جيرانــــاً بقُرطبَــــةَ العَــــلاَ وســــقى رُبَاهــــا بالعِهــــادِ السَّــــواكِبِ"1

وهنا لم يحاكي شجراً ولا حجراً ،بل جعل الدعاء هو الملاذ الوحيد، دعى الله أن يرعى إخوانه بحفظه فالبرغم من البعد المحتم وإن حالت بينهم المسافات ، بقي قلبه في ديارهم يَسْكن .

وكل هاته النكسات التي مر بها صراع داخلي، أعاد صياغته وانتقى له ما يخدمه من كلمات متجانسة، رقيقة ، بكل صدق .

وصدق التجربة الفنية، ما هو إلا« نقل حقائق الدنيا نقلاً صحيحاً إلى الكتابة أو الشعر هو انتزاعها من الحياة في أسلوب وإظهارها للحياة في أسلوب يكون أوفى وأدق وأجمل.....وتلك هي الصناعة الفنية الكاملة ».2

كما نلحظ صدقه في إظهار شوقه للرسول صلَّى الله عليه وسلم وصدق محبته، في مدحه له. وقد رصَّع قصيدته المدحية بأسماء سور القرآن مرتبة الى آخره، وكان القرآن هو الشاهد الأعظم على حبه لخير البريَّة .وهنا إختار أشرف الكلمات وأنصع المعاني تناسب مقامه وقد أصاب الاختيار يقول عياض :

1القاضي عياض، الديوان، ص41.
2مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم،ج1، المكتبة العصرية ،سيدا، بيروت، ص09.

في كـــلِّ فاتِحـــةٍ للقـــول معْتَبَـــرَه حُـــقَّ الثَّنـــاءُ علـــى المبعـــوثِ بـــالبقرَهْ
في آل عمـــرانَ قِـــدْماً شـــاعَ مَبْعثُـــهُ رجـــالهم والنســـاء استوضـــحوا خَبَـــرَهْ
قَـــدْ مَـــدَّ للنَّـــاسِ مـــن نُعْمـــاهُ مائِـــدَةً عمـــت فليســـت علـــى الأنعـــام مُقْتَصَـــرَهْ
أعْـــرافُ رحْمـــاهُ ماحـــل الرَّجَـــاءُ بِهـــا إلَّا وأنفـــالُ ذاك الجـــودِ مبتـــدرَهْ"1

أما عن المصادر التي اعتمدها فمِمَّ لاشك فيه أن المسحة والثقافة الدينية كانت حاضرة في ثنايا مقطوعاته ، والقرآن هو المنهل الذي استمد منه عياض مورده.يقول الشاعر :

أعـــوذ بـــربِّيَّ مـــن شـــرِّ مـــا يُخَـــاف مـــنَ النَّـــاس والجِنَّـــة
واســـــألُهُ رحمـــــةً تقْتضِـــــي عـــــوارف توصَـــــلُ بالجَنَّـــــة
فمـــا للخلائِـــقِ عـــن نـــارِهِ ســـوى فضـــلِ رحْمـــاهُ مـــن جُنَّـــة"2

فها هنا يعتصم برب الناس ويستجير به ،وهذه المقطوعة مصداقاً لقولهِ تعَالَى **{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}"3.**

وينتقل بنا إلى قصيدة أخرى لينهل من القرآن في حضرة المحبوب صلَّى الله عليه وسلم يقول الشاعر في هذا الصدد :

صـــفاتُهُ العَليـــاءَ ،كـــلَّ الـــورى عـــن حصْـــرِهَا والقَطْـــرُ لايُحْصَـــرُ
مَـــنْ خصَّـــه الله ، تعـــالى اسمُـــهُ بقولـــه :فأصْـــدَعُ بمـــا تُـــؤْمرُ"4

وهذا اقتبسه من كلام الله تعالى في سورة الحجر:« **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ».5

1القاضي عياض، الديوان، ص56.
2 المصدر نفسه، ص45.
3سورة الناس، الآية 1-6.
4القاضي عياض، الديوان، ص51.
5سورة الحجر، الآية 94.

كذلك يقول الشاعر عياض :

هــذا الحبيــبُ الــذي أسْــرى لخـالِقــهِ لــيلاً وقــد ضُــرِبَتْ باللَّيْــلِ أستــارُ"1

إشارة إلى قول الله تعالى «**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ».2

1القاضي عياض، الديوان، ص54.

2سورة الإسراء، الآية1.

2. . الأسلـوب:

تعددت الأساليب وتنوعت الطرق في الكتابة من شاعر إلى آخر ، وغدا الأسلوب وسيلة للتمييز بين الكتَّاب سواء في شعرهم أو نثرهم ،وقد اختلفت مفاهيم الأسلوب وتداخلت اجتهادات العلماء ،فمنهم من عرَّفهُ بالنظم والآخر بالسلوك ، ورغم الاختلاف في المفهوم اتفقوا على أن له وظيفة ألا وهي الإثارة والتأثر ولفت الانتباه .

إذن فالأسلوب «هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه....أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم» 1.

وبناءًا على هذا يرى الدكتور محمد مرتاض أن القاضي قد عرف"باعتنائه بجمال الأسلوب وروعة البيان . فكان يؤثر الزخرف بكل ألوانه ،ويفضل الأسلوب المسجوع على المرسل ،كما كان من أنصار الصنعة .لكن هذا لا يعني ولعه بالتكلف المقيت والآية على ذالك أنه لم يمل إلى ما ابتدعه الآخرون ،من قواعد لا تتلائم مع الطبع الصافي، والذوق السليم ،كما أكد على أنَّ من زعم عياض يتكلف أو يؤثر هذا النوع على غيره فقد ظلم .فكان القاضي ميالاً للصنعة ولا يقصي الطبع لأنَّ الفن يحتاج إلى قواعد تضبط وتوجه وليست قواعد تقيد حرية الفن ،أو تضيق على سعة تحركه ،وفضاء جماله."2

ولنعد إلى أهم ما ميز أسلوب عياض نجد :

- ✓ الفصاحة
- ✓ البلاغة
- ✓ روعة البيان
- ✓ الفكر الديني
- ✓ جمال التعبير
- ✓ شرف المعنى

1محمد الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن،ج2،تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي،بيروت،ط1،1995،ص239.

2ينظر: محمد مرتاض،النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأته وتطوره دراسة وتطبيق إتحاد الكتاب العرب، دمشق،2000ص95،94.

فكانت كل قصائده نيرة وإن وصفناها بالنور فهذه حقيقة، لأنَّ كلها تحمل ألفاظ النور مثل: (قناديل،نجم ،بدر، قمر ....) وخاصة حينما يتعلق الأمر بالرسول صلى الله عليه وسلم. كما وظف الشاعر في ديوانه الأساليب الخبرية والإنشائية، والتي تنوعت وتمازجت فكانت بكثرة.

ونشير بكل إيجاز عن مفهوم أسلوب الخبر والإنشاء .

«**الخبر**: هو كل كلام يحتمل الصدق والكذب بذاته».1

«**الإنشاء**: هو كلام لا يحتمل الصدق والكذب لذاته والإنشاء قسمان :

الأول: الإنشاء الطلبي ، وهو مايستدعي مطلوب غير حاصل وقت الطلب وهو خمسة أنواع : الأمر، النهي ، الاستفهام ، التمني ، النداء .

الثاني: الإنشاء خير طلبي وهو مالا يستدعي مطلوب».2

وله صيغ كثيرة منها: التعجب والمدح والذم والقسم وأفعال الرجاء وكذاك صيغ العقود."3

1.2. **الأساليب الخبرية**: وفي هذا الباب نلاحظ تنوع أغراضها بحسب سياق الكلام ونذكر منها

أ. **غرض الإفادة والنصح** : يقول الشاعر :

خَيْـــرُ مـــايقْتَني اللَّبيـــبُ كتـــابٌ مُحْكَـــمُ النَّقـــلِ مُـــتقَنُ التَّقْييـــدِ"4

وأيضا:

إذا ذُكِـــرتْ كُتْـــبُ العُلُـــومِ فخَيْرُهـــا كِتابُ الموطَّأ منْ تصانيفِ مالكِ"5.

1أحمد مطلوب، أساليب بلاغية الفصاحة، البلاغة، المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1979، ص89.

2المرجع نفسه، ص107.

3علي الجارم، مصطفى أمين، البلاغة الواضحة، المرجع السابق، ص170.

4القاضي عياض، الديوان، ص49.

5المصدر نفسه، ص77.

ب. **غرض المدح :**

في كـــلِّ فاتحـــةٍ للقـــول مُعْتَبَـــرَهْ حُـقَّ الثَّنَـاَءُ علـى المبعـوثِ بـالبقَرَهْ"1.

وأيضا:

سمَّـــاهُ طَـــه وحـــضَّ الأنبيـــاءَ علَـــى حَـجِّ المكـانِ الـذي مِـنْ أجْلِـهِ عمَـرَّهْ"2.

ج. **غرض إظهار التحسر :**

لكـــمْ أمـــلٍ كـــانَ لِي في اللِّقـــاءْ وأمنيـــةٍ قَـــدْ طواهَـــا الزمـــاغْ3.

فلـــمْ أجْـــنِ منهـــا سِـــوَى حسْـــرَةٍ فوجْـــدٌ جميـــعٌ وأنـــس شَـــعاغْ"4.

د. **غرض الاسترحام :**

أنـــا فقـــيرٌ إلى عفـــوٍ ومرحمـــةٍ وأنت أهلُ الرضى يا سيدَّ الأممِ "5

ت. **غرض إظهار الضعف :**

الله يعلـــمُ أنِّي مُنْـــذُ لم أرَكُـــمْ كطائرٍ خَانهُ ريشُ الجناحينِ"6.

وأيضا :

وإنِّيَ أشـــدو في النَّـــوادِي بـــذكْرِهِ كما شَدَتِ الورقَاءُ في الغُصْنِ النَّظْرِ"7.

1القاضي عياض، الديوان ص56.

2المصدر نفسه، ص58.

3المصدر نفسه، 72.

4المصدر نفسه، ص93.

5المصدر نفسه ،ص49.

6المصدر نفسه، ص99.

7المصدر نفسه، ص69.

2.2. **الأساليب الإنشائية** : ومن بين الأساليب الواردة نذكر :

أ. **أسلوب الاستفهام** : الذي ظل مصاحباً للشاعر فترصعت به كل قصائده، وهذا التساؤل كان نتيجة الصراع النفسي الذي عايشه، فنراه في كل حين يبدى حيرته ونأخذ على سبيل المثالقوله :

اذاتَ الخـــالِ كَـــمْ ذا تنْتَضِـــينَا علــى سُــيوفَ عينْيْــكِ انتضــاءُ"1.

وغرضه من هذا إبداء التعجب، وتوالت تساؤلات الشاعر في كل حين يقول:

لسْـتُ أنسَـى وكيـفَ لي أنـا أنْسـى؟ حين ألقى الدَّجى عليها السُّدُولا ؟

هـــلْ إلَى نظـــرةٍ ســـبيل فـــائيِّ لســـت أَبْغِـــي إلَّا إليهـــا ســـبيلاً"2.

وهنا جاء استفهامه بغرض النفيي.

ب. **أسلوب الأمر** : وهنا في طلبة يتوجه إلى الله بالدعاء والاسترحام فيقول :

فاشْـــفَعْ فـــإني بـــك مستشـــفِعٌ وانْصُـــر فـــإني بـــك مُسْتَنْصِـــرُ

وارْحَـــمْ فـــإني بـــك مســـترْحِمٌ واجْـــبُر فـــاني لكـــم مسْـــتَجِبرُ

واعْطِـفْ علـى العبـد المسِـيئِ الـذي أتـــى لإحْســـانِكَ يسْـــتَمْطِرُ "3

1القاضي عياض،الديوان،ص38.

2المصدر نفسه، ص89.

3المصدر نفسه، ص52.

وينتقل بنا إلى غرض النصح والإرشاد ويورد:

بـــادِرْ وسَـــلِّمْ علـــى أنـــوارِ روضَـــتِه قبـــل المَمَـــاتِ فـــلا تشْـــغَلْكَ أعـــذارُ"1.

ج. **أسلوب التمني** : ويسافر الشاعر بنا إلى عالم مخيلته وأمنياته ،التي كانت القنديل والأمل الوحيد الذي ينسيه مرارة الأيام، والشوق ،والآلام يقول :

ودَّتْ نجُـــــومُ الأفْـــــقِ لوْأنَّهـــــا كانـــــتْ قناديـــــلَ بـــــه تُزهـــــرُ"2

وأيضا :

فلـــو قَـــدِرتُ ركبْـــتُ البحـــرَ نحـــوكم فـــإنَّ بعـــدكم عـــني جـــنى حيـــني"3.

وهنا يكون قد تمنى أمر مستحيلاً حدوثه .

د. **أسلوب النداء:** وهذا النوع تجلى وبكثرة بحكم أن أشعاره كلها توسلية ويقول هنا لإظهار الحزن والشوق:

يـــا عـــينُ هـــذا السَّـــيد الأكـــبرُ وهـــــــذه الرَّوضـــــــةُ والمنـــــــبرُ

فشـــــاهِدي في حـــــرم المصْـــــطفى مـــــن نـــــورِهِ السَّـــــاطعِ مـــــاَيُبْهِرُ

يـــــاعينُ ذا مـــــاَ كنْـــــتِ تبْغيْنَـــــهُ فمـــــا لأ جفانـــــكِ لا تمْطِـــــرُ"4.

1القاضي عياض، الديوان،ص54.

2المصدر نفسه، ص50.

3المصدر نفسه، ص99.

4المصدر نفسه، ص50.

ر. **غرض التعظيم** : يقول :

يـــا مَـــنْ لـــه جـــاهٌ عظـــيمٌ ومَـــن لـــــهُ لـــــواءُ الحمْـــــدِ و الكـــــوثَرُ

يـــا أرفَـــعَ الخلـــقِ مقامـــاً ويـــا أَجَـــلّ مـــن ينْهَـــى ويـــأمُرُ"1

هـ. **أسلوب النهي** : كذلك لهذا الأخير نصيب من شعر القاضي يقول الشاعر في غرض يلتمس فيه الدعاء :

فـــلاَ تُخَيِّـــب فيـــه تأْميلَـــهُ فأنـــت فيـــه الشـــافعُ الأكْـــبرُ2.

ونخلص من هنا أن هذا التنوع والتعدد في الأساليب ما هو إلا من شاعر متمكن جعل لكل سياق وموضوع أسلوباً خاص به، ومن خلال قراءتنا نجد أن أسلوبه سهل وسلس صادق أثار انتباهنا وبالأخص مشاعرنا وانفعالاتنا سواء في مدحه أو شوقه أو ألمه ،فكل هاته الأحاسيس نسجها بجمال أدبي ونظرة ثاقبة ومخيلة واسعة سواء من ناحية اللغة أو اللفظة أو المعنى أو صدق التجربة.

1القاضي عياض، الديوان، ص 51.

2المصدر نفسه، ص52.

3. الصورة الفنية:

«تعد الصورة الفنية واحدة من أبرز الأدوات التي يستخدمها الشعراء في بناء قصائدهم، وتجسيد أحاسيسهم ومشاعرهم، والتعبير عن أفكارهم وتصوراتهم للإنسان والكون والحياة»[1] .

وإذا تأملنا في شعر الشاعر عياض نجده استخدمالصور الشعرية الفنية البيانية من التشبيه والاستعارة والكناية، لتصوير المعنى وتقريبه لذهن المتلقي والتأثير فيه، ونذكر هذه الصور الفنية كالتالي:

3.1. الصورة التشبيهية :

«التشبيه في اللغة هو التمثيل، شبهت هذا بذاك مثلته به واصطلاحا بيان أن شيئا أو أشياء شاركت غيرها في صفة أو أكثر، بإحدى أدوات التشبيه المذكورة أو المقدرة المفهومة من سياق الكلام[2]»، وأما عند العلماء البلاغة التشبيه كثيرة باهتمام كبير وتعريفات كثيرة فيعرفه **ابن رشيق** بقوله: «التشبيه صفة الشيء بما قاربه وشاكله من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته، لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه ألا ترى أن قول أحدهم «**خدك كالورد**» إنما أرادوا حمرة أوراق الورد وطراوتها لا من سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه[3]».

وأما **الخطيب القزويني** فيعرفه: «التشبيه هو الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى[4]».

[1] رائد وليد جرادات، بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث (الحر) نازك الملائكة أنموذجاً، مجلة جامعة دمشق، المجلد 29، العدد(1+2) ،2013م، ص 551.

[2] محمد أحمد قاسم ومحي الدين دياب، علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني) المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط1، 2003م ص 143.

[3] ابن رشيق القيرواني، (390-456هـ)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ونقده، جزء 1، تحقيق: محمد محي الدين عزيز، دار الجيل، ط5، 1401هـ،1981م، ص 286.

[4] عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار النهضة العربية، بيروت، 1405هـ،،1985م، ص62.

وأركان التشبيه أربعة هي: المشبه, والمشبه به ويسميان طرفي التشبيه، وأداة التشبيه، ووجه الشبه[1] ،وللتشبيه دور مهم وفعال في التعبير عن الافكار والتأثير في نفوس السامعين وذهن المتلقي.

«وللصورة التشبيهية أثر عظيم في التعبير عن المعاني ونقل الأفكار وامتلاء النفوس بالصور والأخيلة وتقريب الكمال إلى الأذهان والسمو به من أرض الواقع إلى فضاء الخيال، وكلما تدرج المرء في هذه الارتفاع كان تصويره أبعد أثرا في القلب وأشد رسوخا في النفس، فالتشبيه يجسد في صورة حسية الأفكار المجردة فيمثلها كأنها موجودة أمامنا»[2].

«فالشاعر يسعى دائما في بناء صوره الشعرية إلى إيجاد نوع من العلاقة بين الفن والواقع ومن أجل ذلك يتوسل بالتشبيه لخلق هذه العلاقة»[3].

وبناء على هذا نجد الشاعر المغربي القاضي عياض يستعمل التشبيه في تشكيل صوره الشعرية ومن مثل ذلك نجد في قوله:

بَشَّـــرَاكَ قَلْـــبِيُّ هَـــذَا سَـــيِّدُ الْأُمَـــمِ وَهَـــذِهِ حَضْـــرَةِ الْمُخْتَـــارِ فِي الْحَـــرَمِ
وَهَـــذِهِ الرَّوْضَـــةِ الْغَـــرَّاءِ طَـــاهِرَةً وَهَـــذِهِ الْقُبَّـــةِ الْخَضْـــرَاءِ كَـــالعَلَمِ[4]

ففي هذه الأبيات يصف الشاعر المقام النبوي الشريف، والأمكنة المقدسة، فاستعان بالتشبيه، فشبه **القبة الخضراء كالعَلَمِ**، هذه الصورة تتكون من المشبه وهو (**القبة الخضراء**)، و أداة التشبيه (**الكاف**)، والمشبه به (**العَلَمِ**)، أما وجه الشبه فمحذوف. لذلك فهو تشبيه مجمل والذي هو: "ما حذف منه وجه الشبه"[5].

[1] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضعة (البيان، المعاني، البديع) ،دار المعارف،ص20.

[2] معاش حياة، مقال، جمالية الصورة الشعرية في قصيدة المديح النبوي مجلة الأثر، جامعة ورقلة، العدد26، 2016م، ص228.

[3] عبد الحميد جودي، مقال، قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزهد عند أبي إسحاق الإلبيري، مجلة قراءات، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد، 2010، ص344.

[4] القاضي عياض، الديوان، ص 93.

[5] عبد العزيز العتيق، علم البيان ،المرجع السابق، ص90.

وفي مدح الرسول صلى الله عليه و سلم يقول الشاعر:

هـذا الشـريفُ الـذي سـادتْ بـه مضـرٌ هذاالــذي تُرْبُــهُ كالمِسْــكِ مِعْطــار[1]

وجاء هذا التشبيه مفصلا وثام استوفى جميع أركانه الأربعة وهي المشبه (**الترب**)، والهاء تعود إلى الممدوح وهو الرسول الشريف، وأداة التشبيه (**الكاف**)، والتي ربطت بين طرفي التشبيه، والمشبه به (**المسك**)، ووجه الشبه (**معطار**) وبهذا يشبه تربة الرسول الكريم بالمسك في عطره الفواح وهي صورة فنية جميلة، تعكس مشاعر القاضي عياض، وحبه للرسول الكريم والتفنن في وصفه ومدحه .

ويستخدم الشاعر التشبيه التام المفصل مرة أخرى في قوله:

وعَنْــهُ خُــذْ عِلْمُهــم إنْ كنــتَ مُتَبعًــا ودَع زخــارف كــالأحلام في الوســن[2]

فالمشبه (**زخارف**) والمشبه به (**الأحلام**) والأداة(**الكاف**) ووجه الشبه هو (**في الوسن**).

وله أيضا مزيد من الصور التشبيهية المتنوعة في مدحه للنبي الكريم، ومن ذلك قوله :

كــالفجر في الــبلاد المحــروس غرتــه .. والشـمس مـن نـوره الوضـاح مختصـرة

والليــل مثــل الضــحى إذا لاح فيــه ألم نشـرح لـك القـول في أخبـاره العطـرة[3]

فيشبه غرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالفجر من شده نوره وبياض وجهه وإشراقه، والليل مثل الضحى إذا لاح فيه، فأراد من خلاله أن يرسم صورة حية تعكس مدى جمال الرسول الكريم وصفاته الجليلة لتقوية المعنى والتأثير في نفوس السامعين

[1] القاضي عياض، الديوان، ص 54.
[2] المصدر نفسه،ص 96.
[3] المصدر نفسه، ص 64،63.

كما نجد له صورا تشبيهية أخرى، عبرت عن حنينه وأشواقه، فيقول:

الله يعلـــــم أني منـــــذ لم أركـــــم كطـــائر خانـــه ريـــش الجنـــاحين[1]

فالشاعر يشبه حالته وهو بعيد عن أهله كالطائر الذي خانته جناحيه ولم يقدرعلى الطيران، فعقد المشابهة بينه وبين الطائر وربط بينهما بأداة وهي الكاف .

ونلمس أيضا من صوره التشبيهية قوله:

أســـانيد أمثـــال الرّواسي،صـــحيحةٌ ورأيٌ كـــأنوارِ النّجـــوم الشـــوابك[2]

فيشبه من خلال هذا البيت الشعري الأسانيد الموجودة في كتاب الموطأ بالرواسي الصحيحة والثابتة، وفي الشطر الثاني يشبه الرأي بأنوار النجوم المتشابكة وربط بين أطراف التشبيه بالأداة .ومن أركان هذه الصورة فنجد المشبه (أسانيد) والأداة هي (أمثال) والمشبه به (الرواسي) ووجه الشبه (صحيحة).

ومن خلال هذه الأبيات الشعرية تبين لنا الشاعر عياض أبدع في استخدام الصور التشبهية التي عبرت عن أفكاره وأحاسيسه

[1] القاضي عياض، الديوان، ص 99.

[2] المصدر نفسه، ص 77.

2.3. الصورة الاستعارية:

تعد الصورة الاستعارية من أهم الفنون البيانية وفي اصطلاح البيانيين:«هي استعمال اللفظ في غير ما وضع لوجود علاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع قرينة صارفة عند إرادة المعنى الأصلي»[1].

والاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني هي: «أن "تريد تشبيه الشيء، بالشيء،فتدع ان تفصح بالتشبيه وتظهره وتجئ إلى اسم ، به فتعيره المشبه، وتجريه عليه»[2].

ويعرفها السكاكي أنها "تشبيه حذف منه المشبه به أو المشبه، ولا بد ان تكون العلاقة بينهما المشابهة دائما كما لا بد من وجود قرينة لفظية، أو حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبه به او المشبه[3]".

وبناء على ذلك فالاستعارة هي :" قمة الفن البياني وجوهر الصورة الرائعة، والعنصر الأصيل في الإعجاز والوسيلة الأولى التي يلحق بها الشعراء وأولو الذوق الرفيع إلى سماوات من الإبداع ما بعدها أروع ولا أجمل ولاأحلى بالاستعارة ينقلب المعقول محسوسا تكاد تلمسه اليد وتبصره العين ويشمه الأنف، بالاستعارات تتكلم الجمادات، وتتنفس الأحجار وتسري فيها آلاء الحياة"[4].

«فتستمد الصورة الإستعارية قيمتها مما تتبعه من إمكانات جديدة للتعبير عن طريق تجاوز المعنى الموضعي للفظ وإكسابه دلالات جديدة تلبي حاجة المبدع إلى التعبير عن تجاربه المختلفة، وبذلك يمكن اعتبار الاستعارة أكثر الأدوات الفنية ملاءمة للتصوير الشعري»[5].

ولذلك فالاستعارة أبلغ من التشبيه لأن: «التشبيه مهما تناهى في المبالغة، فلا بد فيه من ذكر المشبه والمشبه به، وهذا اعتراف بتبانيهما، وأن العلاقة ليس إلا التشابه، فلا تصل إلى حد الاتحاد، بخلاف الاستعارة ففيها دعوه للاتحاد والامتزاج، وإن المشبه والمشبه به صارا معنى واحدا[6]».

---

[1] أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة(في المعاني والبيان والبديع) ضبط: يوسف الصميلي،المكتبة العصرية، بيروت، ص 258.

[2] أبو بكر القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ت471هـ) تعليق :محمود محمد شاكر، ص67.

[3] محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني ،المرجع السابق، ص193.

[4] إبراهيم أمين الزرزومي، الصورة الفنية في شعر علي الجارم دار قباء، مصر، 2000م، ص 165.

[5] عبد القادر البار، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية(دراسة أسلوبية)، أطروحة دكتوراه في اللغة، إشراف: أحمد جلايلي جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2011م،ص438.

[6] محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، علوم البلاغة(البديع والبيان والمعاني المرجع السابق ،ص193..

وتنقسم الاستعارة إلى قسمين:

1. الاستعارة التصريحية: وهي ما صرح فيه بلفظ المشبه به .
2. الاستعارة المكنية: ما حذف فيهما المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه[1].

ومن خصائص هذه الصورة الاستعارية ووظائفها التشخيص والتجسيد.

«فالتجسيد يعني تقديم المعنى في جسد شيئي أو نقل المعنى من نطاق المفاهيم إلى المادية الحسية والتشخيص هو الذي ترتفع فيه الأشياء إلى مرتبة الإنسان مستعيرة صفاته ومشاعره أو إحياء المواد الحسية الجامدة واكسابها إنسانية الإنسان وأفعاله»[2].

و إذا نظرنا في شعر القاضي عياض وجدناه يزخر بهذه الصور الاستعارية، حيث اعتمد الشاعر في تشكيل صوره الشعرية الاستعارية على التشخيص والتجسيد، ومن الصور الاستعارية نجده يقول:

وقـــرت عيـــون المجـــد أيـــة قـــرة بيـــوم تعـــال أن يكـــون مـــن الـــدهر[3]

فالشاعر هنا يشبه المجد بالإنسان الذي له عيون فحذف المشبه به وهو "الإنسان" وترك لازمة من لوازمه "عيون" على سبيل الاستعارة المكنية لغرض التشخيص .

ولم يكتف في قوله أيضا:

وشـــد بـــه كـــف الظنانـــة مهتـــدي فمـــن حـــاد عنـــه هالـــك في الهوالـــك[4]

فشبه الظنانة بالإنسان الذي له كف نشد فيها وحذف المشبه به وهو "الإنسان" وترك قرينة تدل عليه وهي "كف" على سبيل الاستعارة المكنية، لتقريب المعنى والتأثير على الذهن المتلقي ونفوس السامعين

ومن قوله أيضا في وصف الزرع و خاماته:

---

[1] علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضعة (البيان، المعاني، البديع) ، المرجع السابق ص77.

[2] غادة عبد العزيز دمنهوري، الصورة الاستعارية في الشعر طاهر زمخشري، إشراف: حامد بن صالح الربيعي، جامعة أم القرى كلية اللغة العربية، 1421هـ، ص 46،47.

[3] القاضي عياض ، الديوان، ص 70.

[4] المصدر نفسه،ص78.

انظـــــر إلى الـــــزرع وخاماتـــــه تحكـــي وقـــد ماســـت أمـــام الريـــاح[1]

فشبه الزرع وخاماته والرياح تهب تعانقها أنها تحكي فحذف المشبه به "الإنسان" وترك قرينة من قرائنه لتدل عليه "تحكى" على سبيل الاستعارة المكنية لغرض التشخيص أيضا.

من الاستعارات أيضا نجده يقول:

أجنـــــت أكـــــف جنانهـــــا قطـــــف الأمـــــاني والحبـــــور[2]

شبه الأماني بالثمار التي تقطف. فجاءت هنا الاستعارة مكنية حذف فيه المشبه به وهو "الثمار" وترك قرينة تدل عليه وهي"القطف" لغرض التجسيد.

ويقول أيضا:

الـــذي كســـرت كســـرى مهابتـــه حـــتى تبـــين في إيوائـــه الميـــل[3]

وفي هذه البيت الشعري شبه "المهابة" بالشيء الذي يكسر كالزجاج ونحوه، فحذف المشبه به وهو "الزجاج" وترك شيء يدل عليه وهو " الكسر" على سبيل الاستعارة المكنية ولغرض التجسيد أيضا،وفي هذا تصوير لهزيمة كسرى المعركة.

ومن صورة الاستعارية والفنية أيضا قوله:

فيناجيـــك شخصـــه مـــن قريـــب وينادي ـــك نصـــه مـــن بعيـــد[4]

وفي هذه الصورة الاستعارية تم تشخيص "نص الكتاب" وتصويره في صورة شخص ينادي من بعيد، وهذه الصورة تظهر مدى حب الشاعر الكتب وحثه على المطالعة.

[1] القاضي عياض، الديوان، ص47.
[2] المصدر نفسه ،ص71.
[3] المصدر نفسه، ص84.
[4] المصدر نفسه، ص49.

3.3. الصورة الكنائية:

الكناية هي ركن من أركان علم البيان، وفي معناها اللغوي: «أن تتكلم بالشيء وتريد غيره، وهي مصدر كنيت بكذا عن كذا، من باب دعا يدعو، وفي اصطلاح البلاغين لفظ أطلق وأريد به لازم معناه الحقيقي مع قرينة لا تمنع من إرادة المعنى الأصلي من المعنى المراد».[1].

ويعرفه عبد القاهر الجرجاني بمفهومها الدقيق بقوله: «والمراد من الكناية ها هنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجئ إلى المعنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلا عليه، مثال ذلك قولهم: (هو طويل النجاد) يريدون طويل القامه (وكثير رماد القدر) بعنون كثير القرى، وفي المرأة (نؤوم الضحى) والمراد أنها مترفة مخدومه لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا، معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم تواصلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أن يردفه في الوجود، وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أن القامة إذا طالت طال النجاد، وإذ اكثر القرى كثر رماد القدر، و إذا كانت المرأة مترفة لها ما يكفيها أمرها، ردف ذلك أن تنام إلى الضحى[2]».

«فالكناية هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور إلى المتروك، كما تقول فلان طويل النجاد، لينتقل إلى ما هو ملزوم وهو طول القامه»[3].

وتنقسم الكناية إلى ثلاثة أقسام:

1. الكناية عن صفة: «والتي يصرح بالموصوف بالنسبة إليه ولا يصرح بالصفة المطلوب نسبتها وإثباتها، ولكن يذكر مكانها صفة تستلزمها، ومن ذلك ما تقوله: (فلان نظيف اليد) كناية عن نزاهته وعفته عما ليس له، فقد صرح فيه بالموصوف وهو (فلان) وصرح بالنسبة إليه وهو إسناد نظافة اليد إليه ولم يصرح بالصفة المطلوب نسبتها وهي نظافة اليد، ولكن ذكرت صفة أخرى تستلزمها هي نظافة اليد»[4].

---

[1] الثعالبي، الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء، 1998م،ص21.

[2] أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 66.

[3] محمد مؤمن صادق، الصورة البيانية في شعر خليل مطران رسالة الماجستير في البلاغة والنقد، إشراف: بشير عباس بشير ،جامعة أم درمان الإسلامية ،كلية اللغة العربية، 1429هـ-2008م ص106.

[4] الثعالبي، الكناية والتعريض،المرجع السابق، ص22،23.

2. الكناية عن موصوف« :أن يصرح بالصفة وبالنسبة ولا يصرح بالموصوف المطلوب النسبة إليه، ولكن يذكر مكانه صفة أو أوصاف تختص به كما تقول (فلان صفا لي مجمع لبه) كناية عن قلبه، فقد صرح بالصفة وهي (مجمع اللب) وصرح بالنسبة وهي إسناد الصفاء إليه ولم يصرح بالموصوف المطلوب نسبة الصفاء إليه وهو القلب»[1].

3. الكناية عن نسبة: «أن يريد المتكلم إثبات صفة لموصوف معين أو نفيها عنه، فيترك إثبات هذه الصفة لموصوفها، ويتثبتها لشيء آخر شديد الصلة ووثيق الارتباط به فيكون ثبوتها لمن يتصل به دليلا على ثبوتها له كقولهم :المجد بين توبيه والكرم بين برديه.. أرادوا نسبة المجد والكرم له، فعدلوا عن التصريح بذلك إلى جعل المجد بين توبيه والكرم بين برديه ليفهم المخاطب إثباتهما للممدوح»[2].

وانطلاقا من ذلك وبالنظر في شعر القاضي عياض نجد بعضا من الصور الكنائية، كقوله عند الارتحال عن قرطبة:

وقد غمضت من كثرة الدمع مقلتي وصارت هواء من فؤادي ترائبي[3]

فهذه كناية عن الحزن والتشوق والحنين وكلها صفات فالكناية عن صفة، كما جاءت في هذه الصورة الكنائية رائعة، ومجسدة لحالته النفسية وما يجيش في داخله من حنين وحزن وبكاء وهو يودع قرطبة

وأيضا من الصور الكنائية في الغزل. قوله:

وما وجدت لذيذ النوم بعدكمو. إلا جنى جنظل في الطعم أو صاب[4]

[1] الثعالبي، ا الكناية والتعريض،المرجع السابق، ص31.
[2] محمد مؤمن صادق، الصورة البيانية في شعر خليل مطران، المرجع السابق، ص115.
[3] القاضي عياض، الديوان، ص 41.
[4] المصدر نفسه ، ص 42.

ففي هذا البيت كناية عن طول السهر ولوعة الاشتياق للمحبوبة، والشكوى من الفراق، فجاءت الكناية في تعبير صادق عن عواطفه الجياشة ومشاعره. ومن كناياته الجميلة أيضا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قوله:

عـــزت شـــريعته البيضـــاء حـــين أتـــى أحقـــاف بـــدر وحبـــذ الله قـــد حصـــر[1]

كناية عن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي جاء بشريعة غراء واضحة العاني والاحكام.

ومن كناياته أيضا قوله:

يـــا عـــين هـــذا الســـيد الأكـــبر وهـــــذه الروضـــــة والمنـــــبر[2]

كناية عن موصوف وهو "الرسول صلى الله عليه وسلم"

وللشاعر أيضا صورة كنائية جميلة عبرت عن إحساسه المرهف ومشاعره الجياشة قوله:

أذات الخـــال كـــم ذا تنتضـــينا علـــي ســـيوف عينيـــك انتصـــاء[3]

كناية عن المحبوبة.

[1] القاضي عياض، الديوان ص 60.
[2] المصدر نفسه، ص 50.
[3] المصدر نفسه، ص 38.

1. الإيقاع الشعري :

«الإيقاع مقوم أساسي من مقومات الخطاب الشعري، وعنصر ضروري من عناصره، وإذا كانت تعاريف الشعر القديمة قد أغفلت بعض مقوماته كالصورة مثلا، فإنها لم تترك الإيقاع أبدا، فالشعر عند الجاحظ متوقف على إقامة «الوزن» وغيره من العناصر، وهو عند قدامة بن جعفر «قول موزون مقفى»[1].

وبذلك فالوزن بنية إيقاعية مهمه في الشعر وموسيقاه، والقافية كذلك عنصر وركن مهم في البناء والإيقاع، وسنوضح ذلك من خلال دراستنا للأوزان والقافية في شعر القاضي عياض .

1.4. الإيقاع الخارجي:

1.1.4. الوزن:

«هو الإيقاع الحاصل من التفعيلات الناتجة من كتابة البيت الشعري كتابة عروضية، أو هو الموسيقى الداخلية المتولدة من الحركات والسكنات في البيت الشعري، والوزن هو القياس الذي يعتمده الشعراء في تأليف أبياتهم، ومقطوعاتهم وقصائدهم والأوزان الشعرية التقليدية ستة عشر وزنا، و للوزن أثر مهم في تأدية المعنى، فلكل واحد من الأوزان الشعرية المعروفة نغم خاص يوافق لونا من ألوان العواطف الإنسانية والمعاني التي يريد الشاعر التعبير عنها، ودون الوزن يفتقد الشعر ركنا مهما من أركانه، ووحدته في القصيدة الواحدة أساس التزمه الشعراء في قصائدهم التقليدية»[2].

وكشفت الدراسة العروضية لشعر الشاعر القاضي عياض اعتماده واستخدامه لتسعه بحور شعرية خليليه وجاءت موزعة كالآتي:

بحر الطويل استعمله (10 مرات)، بحر البسيط (9 مرات)، بحر المتقارب (5مرات)، الوافر (3 مرات)، الخفيف(4مرات)،الكامل(4مرات)، مجزوء الكامل(مرة واحدة)، المجتث نفس الشيء(مرة واحدة)، السريع (مرتين).

[1] محمد محي الدين، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين(مقاربة لفنونه وخصائصه في الفترة الأولى)، رسالة للحصول على شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي، إشراف: محمد عباس، جامعة تلمسان معهد اللغة العربية وآدابها، 1997م،1989م،ص 490.

[2] بديع يعقوب، المعجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 1411هـ،1991م، ص458.

ومن خلال هذا الإحصاء للبحور الشعرية اتضح لنا أن الشاعر كتب شعره مستخدما ثلاثة بحور بنسبة كبيرة وهي الطويل، البسيط، المتقارب وقمنا بدراستها كالآتي:

1. بحر الطويل:

هو من البحور الخليلية والعربية الأكثر شيوعا حيث، «يكاد يكون ربع الشعر العربي مكتوبا على ميزان الطويل[1]»، والطويل يكون وزنه: فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ[2]

«وهو عند النويهي« يقع على الأذن وقعاً بطيئاً متأنياً لأن كل شطر فيه يتكون من أربعة مقاطع قصيرة وعشرة طويلة ومن هنا كان في مرتبة وسطى من حيث السرعة بعد اعتبار زحافاته وعلله[3]».

وقد ورد توظيف هذا البحر عند الشاعر عياض في المرتبة الأولى من بين كل البحور، فنال حصة الأسد من شعره فغرض التشوق و الحنين الذي ظل مصاحبا للشاعر استدعى حضور البحر الطويل.

ومن ذلك قول الشاعر:

أَقَــوْلٌ وَقَــدْ جَــدَّ اِرْتِحَــالِي وَغَــرّدَتْ حَـــدائِيُ وَزَمَّـــتْ لِلْفِـــرَاقِ رَكَـــائِبِي[4]

أَقَوْلٌ	وَقَدْ جَدْدَرْ	تِحَالِي	وَغَـرِدَتْ	حَدائِيُ	وَزُمْتِلِلْ	فِرَاقِ	رَكَائِبِي
/0//	0/0/0//	0/0//	0//0//	0/0//	0/0/0//	/0//	0//0//
فعولُ	مفَاعِيلُنْ	فَعُولُنْ	مَفَاعِلُنْ	فَعُولُنْ	مفَاعِيلُنْ	فعول	مَفَاعِلُنْ

[1] مصطفى حركات، أوزان الشعر، الدار الثقافية، القاهرة ط1، 1418هـ،1998م، ص59.

[2] المرجع نفسه، ص54.

[3] سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1993م، ص46.

[4] القاضي عياض،الديوان، ص41.

وَقَدْغمِضَـتْ مَـنْ كَثْـرَهِ الـدمعّ مقلـتي وَصَـارَتْ هَـوَاءٌنْ مِـنْ فُـؤَادِي تَـرَائِي

وَقَدْغَ	مِضَتْ مَنْ كَثْـ	رَهِ دْدَمْ	عمُقِلَّتُي	وَصَارَتْ	هَوَاءٌنْ مِنْ	فُؤَادِي	تَرَائِي
/0//	0/0/0//	0/0//	0//0//	0/0//	0/0/0//	0/0//	0//0//
فعول	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن	فعولن	مفاعيلن	فعولن	مفاعلن

وهذه الأبيات التي تم تقطيعها تضم (16) تفعيلة منها (3) تفعيلات في حشو البيت أصابها زحاف القبض الذي هو "حذف الخامس الساكن"[1]، حيث تحولت :

(فَعُوْلُنْ //0/0) إلى(فَعُوْلُ //0/) وهو زحاف جائز كثير الورود في بحر الطويل أما عروضه وضربه فجاءت مقبوضة أيضا تحولت فيه(مفَاعِيلُنْ//0/0/0) إلى (مَفَاعلُنْ//0//0) وهو زحاف جري مجرى العلة، وقد ساهمت هذه الزحافات في تنوين الإيقاع، وأيضا صب الشاعر عاطفته وحنينه في هذا البحر الطويل.

2. **بحر البسيط:**

هو من أشهر البحور الشعرية العربية والخليلة، والذي يأتي في المرتبة الثانية بعد الطويل في نسبة الشيوع في الشعر العربي، ويرى البستاني (سليمان) أن:« البسيط يقرب من الطويل ولكنه لا يتسع مثله لاستيعاب المعاني، ولا يلين لينه للتصرف بالتراكيب والألفاظ مع تساوي أجزاء البحرين، وهو من وجه آخر يفوقه رقه وجزالة[2]». كما أنه من أكثر البحور «استيعابا للأغراض والمعاني المختلفة، وقد أكثر من النظم على وزنه الشعراء العباسيون وأصحاب البديعات والمدائح النبوية والأناشيد الدينية[3]»، ووزن البحر البسيط هو: مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فَاْعِلُنْ[4].

وأيضا أكثر من استخدامه شعراء المدح في مدائحهم النبوية، وذلك لأنه الأنسب لهذا الموضوع يقول ابراهيم أنيس في ذلك «أما المدائح فليس من الموضوعات التي تنفعل لها النفوس وتضطرب لها القلوب، وأجدر

[1] بديع يعقوب، معجم المفصل في علم العروب والقافية وفنون الشعر،المرجع السابق ، ص 252.
[2] غازي يموت، بحور الشعر العربي عروض الخليل، دار الفكر اللبناني ط2، 1992م، ص64.
[3] محمد علي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، دار القلم، دمشق، ط1، 1416هـ،1991م، ص 47.
[4] غازي يموت، بحور الشعر العربي عروض الخليل ،المرجع السابق،ص65.

به أن تكون في قصائد طويلة وبحور كثيرة المقاطع، كالطويل و**البسيط** والكامل مثل هذا يمكن أن يقال في الوصف بوجه عام [1]».

ومع ذلك كله فيرد توظيف الشاعر عياض للبحر البسيط في المرتبة الثانية بعد الطويل، فقد استخدمه (9مرات) في قصائده فهو البحر المناسب لأغراضه الجليلة كمدحه لمصطفى صلى الله عليه وسلم، وفي الوصف وأيضا لما يخدمه من ايقاع شعري .

يقول الشاعر في هذا الصدد أبياتا في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم:

هَذَا الَّذِي وَخَذتْ شَوْقًا لَهُ الْإِبِلُ هَذَا الْحَبِيبُ الَّذِي مامنه لِي بَدَلُ[2]

هَاذَ لَّذِي	وَخَذتْ	شَوْقن لَهُل	إِبِلُو	هَاذَ لْحَبِيـ	بُ لْلَذِي	مامنه لِي	بَدَلُو
0//0/ 0/	0///	0//0/ 0/	0///	0//0/0/	0//0/	0//0/0/	0///
مُسْتَفْعِلُنْ	فِعَلُنِ	مُسْتَفْعِلُنْ	فِعَلُنِ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَأُعْلِنَّ	مُسْتَفْعِلُنْ	فِعَلُنِ

هَـــذَا الَّـــذِي مـــارأت عَـــيْنَ وَلَا سَمِعَـــتْ أُذْنٌ بِـــأَكْرَمِ مَـــنْ كَفِيّـــهُ انَّ سَـــأَلُوا

هَاذَ لَّذِي	مَارَأَتْ	عَيْنَ وَلَا	سَمِعَتْ	أُذْنن بِأَكْ	رَمِ مَنْ	كَفِيهُ إِنْ	سَأَلُوا
0//0/0/	0///	0//0/0/	0///	0//0/0/	0///	0//0/0/	0///
مُسْتَفْعِلُنْ	فَأُعْلِنَّ	مُسْتَفْعِلُنْ	فِعَلْنَ	مُسْتَفْعِلُنْ	فِعَلْنَ	مُسْتَفْعِلُنْ	فِعَلْنَ

وقد اشتملت هذه الأبيات التي تم تقطيعها على (16) تفعيلة، وترد (فاعلن/0//0) في حشو البيت مرتين صحيحة سالمة من الزحاف، وترد (فعلن ///0) في الحشو أربع مرات، حيث تحولت (فاعلن /0//0) إلى (فعلن///0) فأصابها الزحافات لخبن "وهو حذف ثاني التفعيلة الساكن"[3]، كما جاءت أيضا العروض

[1] ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2، 1952م، ص 176.

[2] القاضي عياض، الديوان، ص80

[3] محمد هلي الهاشمي، العروض الواضح وعلم القافية، المرجع السابق ،ص126.

مخبون والضرب كذلك مخبون على وزن(فعلن)، وهذا التغيرات التي طرأت على تفعيلات شعر عياض زادت من ثراء الموسيقى الشعرية.

3. بحر المتقارب:

وقيل أن: «نغماته من أيسر النغمات وأقل ما يقال فيه أنه بحر بسيط النعم مضطرد التفاعيل منساب[1]»، فللبحر المتقارب «رنة واضحة، ونغمة خماسية مطربة محببة، وهو بإيقاعه هذا يصلح لموضوعات العنف ذات الطابع الحماسي[2]»، فهو بذلك يصلح أيضا «للسرد والتعبير عن العواطف الجياشة في آن واحد[3]»، ويتكون هذا البحر من تفعيلات متماثلة ليكون وزنه: فَعَوِّلِنَّ فَعَوِّلِنَّ فَعَوِّلِنَّ فعولن فعولن فَعَوِّلِنَّ فَعَوِّلِنَّ فَعَوِّلِنَّ.[4]

وبالنسبة القاضي عياض فورد توظيفه لهذا البحر في المرتبة الثالثة بعد الطويل والبسيط، حيث استخدمه(5مرات) في شعره .

ومن ذلك يقول الشاعر:

فَقَـــالُوا :نَـــرَاكَ تُحِـــبُّ الشَّـــفَا وَتَخْبُـــرُ فِيـــهِ عَـــنِ الْمُصْـــطَفَى[5]

فَقَالُو	نَرَاكَ	تُحِبُّ شْ	شفَا	وَتَخْبـ	رُفيهِي	عنِ لْمُصْ	طفَى
0/0//	//0/	0/0//	0//	//0/	0/0//	0/0//	0//
فعولن	فعول	فعولن	فعلْ	فعول	فعولن	فعولن	فعلْ

[1] سيد البحراوي، العروض وإيقاع الشعر العربي، ص 39.

[2] محمد علي الهاشيمي، العروض الواضح وعلم القافية، المرجع السابق ، ص 39.

[3] محمد بن حسن بن عثمان، المرشد الوافي في العروض والقوافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ -2004م، ص 121.

[4] المرجع نفسه، ص119.

[5] القاضي عياض، الديوان، ص73.

فَقُلْـــــتُ :لِأَنِيّ عَلِيـــــلٌ الْفُـــــؤَادِ وَكُـــــلٌ عَلِيـــــل يُحِـــــبُّ الشَّـــــفَا

فَقُلْتُ	لِأَنِي	عَلِيلَلٌ	فُؤَادِي	وَكلُل	عَلِيلِنْ	يُحِبب ش	شفَا
/0//	0/0//	0/0//	0/0//	/0//	0/0//	0/0//	0//
فعول	فعولن	فعولن	فعولن	فعول	فعولن	فعولن	فعول

وإذا تأملنا في هذه الأبيات تجد أنها تتكون من (16) تفعيلة، منها ما أصابها الزحافات والعلة ففي حشو البيت الشعري تحولت(فعولن //0/0) إلى(فعول) وهذا ما يسمى زحاف القبض الذي أسلفنا ذكره فهو حذف الخامس الساكن، أما عروض البيت فأصابتها علة الحذف وهو "إسقاط سبب خفيف من آخر التفعيلة"،[1]حيث تحولت:

(فعولن//0/0) إلى (فعو//0) ونقلت إلى(فَعَلْ//0) وضرب البيت أيضا جاء محذوف.

وهذه الزحافات والعلل أدخلت تلوينا وتغييرا على التفعيلة مما ساهم في سرعة الإيقاع بسبب الحذف، كما أن الشاعر وفق لاستخدام هذا البحر المتقارب فهو الأنسب للتعبير عن مشاعره وأحاسيسه أو للسرد أيضا.

[1]محمد بن حسن بن عثمان، المرشد الوافي في العروض والقوافي،المرجع السابق ، ص 33.

2.1.4. القافية :

إلى جانب الوزن تأتي القافية والتي لها أهمية كبيرة في بناء القصيدة وهي «من العناصر المكملة للإيقاع الخارجي (الموسيقى الخارجية)للشعر العربي وهي في- غالب الظن -متطورة عن نهايات الأسجاع في النثر».1

وفي أدق تعريف لها «هي الحروف التي يلتزمها الشاعر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة وتبدأ امن آخر حرف ساكن في البيت إلى أول ساكن سبقه مع الحرف المتحرك الذي قبل الساكن » .2

والقوافي قسمان :

"مطلقة : وهي ما كان رويها متحركاً.

مقيدة : وهي ما كان رويها ساكناً "3 .

"أما عن ألقاب القوافي في الشعر العربي خمسة وهي المترادفة (/00) والمتواترة (/0/0) والمتداركة (/0//0) والمتراكبة (/0///0) و المتكاوسة (/0////0)"4.

1عبد الرحمن الوجي ، الإيقاع في الشعر العربي ، دار الحصاد ، دمشق، ط1 ، 1989 ، ص 70 .

2محمد علي هاشمي ، العروض الواضح وعلم القافية ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، 1991، ص 135.

3المرجع نفسه ، ص 141.

4عبد المجيد دقياني ، القافية في شعر بلقاسم خمار مجلة العلوم الانسانية ، العدد الحادي عشر ، جامعة محمد خيضر بسكرة ،2007، ص153 .

أما عن حروفها فهي ستة :

- الروي : وهو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة ، وتنسب إليه فيقال قصيدة بائية أو دالية ....وجميع الحرف الهجائية تصلح أن تكون روياً ماعدا الأحرف التي ليست من أصل الكلمة بل هي زائدة عن بنية الكلمة .
- الوصل : وهو حرف مد أو هاء ساكنة أو متحركة يتلوان الروي المتحرك ومن ثم كانت حروف الوصل أربعة هي :الألف والواو ، والياء والهاء.

الخروج : وهو حرف مد يلي هاء الوصل ناشئ عن إشباع حركتها ومن ثم كانت حروف الخروج ثلاثة وهي: الألف والواو، والياء.

- الردف: ألف أو واو أو أوباء سواكن قبل الروي بلا فاصل "1.
- التأسيس: وهو ألف بينهما وبين الروي حرف متحرك يسمى (الدخيل).
- الدخيل: وهو الحرف المتحرك الواقع بين التأسيس والروي"2.

وقد التزم الشاعر بالقافية إذ يقول:

يَتِيمٌ من الطَّاعاتِ عفْوَكَ يرْتَجِي" 3

يَتِيمُنْ	مِنَطْطَاْعَاْتِ	عَفْوُكَ	يَرْتَجِي
0/0//	0/0/0//	/0//	0//0//
فَعُولُنْ	مَفَاعِيلُنْ	فَعُوْلُ	مَفَاْعِلُنْ

قِــهِ الفَقْــرَ وَالإِفْــلاَسَ وَالفَقْــدَ

قِهِلْفَقْرَ	ولإفلاس	ولفقد	ووزلا
0/0//	0/0/0//	/0//	0//0//

1محمد علي الهاشمي ، العروض الواضح وعلم القافية ، المرجع السابق ، ص136-137

2المرجع نفسه ، ص138 .

3القاضي عياض ،الديوان ، ص87

فَعُولُنْ مَفَاعِيلُنْ فَعُوْلُ مَفَاْعِلُنْ

جاءت القافية في هذا البيت مطلقة متداركة (/0//0)في لفظة رَززلا وأهم حروفها الروي (اللام) ووصلها (الألف).

ويقول الشاعر في بحر السريع :" 1

كَتِيبَـــــةً خَضْـــــرَاءَ مضـــــهْزُومَةً شَـــقَّائِقُ النُّعْمَـــانِ فيهَـــا جِـــرَاحْ

كَتِيبَتَنْ	خَضْرَاءَ	مَهْزُومَتَنْ	شَقَائِقُ	نْنُعْمَانِ	فيهَا جِرَاحْ
0//0//	/0//0/0	/0//0	0//0//	0//0/0/	0//0/
مُتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاْعِلُنْ	مُتَفْعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَاْعِلُنْ

والقافية هنا مقيدة مترادفة في كلمة: (راح)(/00)

ورويها (الحاء) وردفها: (الألف).

ويورد من بحر الوافر:"2

لَمِحَـــــــبرَةٌ تُجَالِسُـــــــنِي نهـــــــاراَ أَحَـــبُّ إِليَّ مِـــنْ أُنْـــسِ الصّـــدِيقِ

لَمِحَبرَةٌ	تُجَالِسُنِي	نهاراَ	أَحَبُّ إِليَّ	مِنْ أُنْسِ	الصّدِيقِ
0///0//	0///0//	0/0//	0///0//	0///0//	0/0//
مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	فَعُولُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	مُفَاعَلَتُنْ	فَعُولُنْ

وَقافية هذا المقطع مطلقة متواترة تمثلت في كلمة (ديقى)(/0/0)ورويها حرف (القاف)ووصلها (الياء) وردفها (الياء).

1 القاضي عياض ، الديوان ، ص47.

2المصدر نفسه ،ص 76.

وله في البسيط "1

فِي كلِّ فاتِحةٍ للقول معْتَبَرَه حُقَّ الثَّناءُ على المبعوثِ بالبقرَهْ

فِي كُلْلِ	فَاتِحَتُنْ	لِلْقَوْلِ	مُعْتَبَرَهْ	حُقْقَ	ثْنَاءُ	عَلَلْمَبْعُوثِ	بِلْبَقَرَهْ
0//0/0/	0///	0//0/0/	0///	0//0/0/	0///	0//0/0/	0///
مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ	مُسْتَفْعِلُنْ	فَعِلُنْ

وهذه الأخيرة فقافيتها مطلقة متراكبة : (بلبقرة)(/0///0) ورويها (الراء) ووصلها (الهاء).

ومن هنا نلاحظ أن الشاعر أكثر من استعمال القوافي المطلقة المتواترة، لكنه لم يهمش الأخرى بل كان لها نصيب أيضا في شعره، أما عن حروف القافية المستعملة فقد لجأ إلى الحروف الأكثر تداولاً ألا وهي (الراء – اللام – النون) وهي أحرف مجهورة وأكثر حرف نال الرتبة في أشعاره هو اللام ولا يخفى عن أي باحث أنه يحمل دلالة طلب الرحمة وهذا مرتبط بموضوعه الأساسي(التوسل)ويليه حرف الراء " فلو لا صوت الراء لفقدت لغتنا الكثير من مرونتها وحيويتها وقدرتها الحركية ولفقدت الكثير رشاقتها ومن مقومات ذوقها الأدبي2" ويأتي حرف النون الذي طالما ارتبط بالحزن والأسى رافق الشاعر في توسلاته وإظهار ضعفه وتقصيره وانكساراته وإلى جانب كل هذه الحروف المجهورة كان للمهموسة أيضا حضوراً متميزاً فرغم قلتها إلا أنها شهدت على كل ما عاشه الشاعر من مشاعر ساهمت في إيصال صوته الداخلي إذن ينبثق من هذا البناء الانسجام والتوافق .

1القاضي عياض الديوان ،ص 56.

[2]حسن عباس خصائص الحروف العربية ومعانيها اتحاد كتاب العرب 1998 ص84.

2.4. الإيقاع الداخلي :

ويعد أهم جانب يرتكز عليه الشعر، لما له يحمله من وظيفة تأثيرية خاصة على المستوى الصوتي، وينصب هذا الجانب على الألفاظ، ونستأنس بتعريف الدكتور عبد الرحمن الوجي: «والموسيقى الداخلية هي ذلك الإيقاع الهامس الذي يصدر عن الكلمة الواحدة ،بما تحمل في تأليفها من صدى ووقع حسن وبما لها من رهافة، ودقة تأليف، وانسجام حروف ،وبعد عن التنافر وتقارب المخارج ، وهو عند البلاغيين يندرج في باب (فصاحة اللفظ)».[1]

ومن أهم مظاهر الموسيقى الداخلية عند الشاعر عياض :

أ. **الطباق** : «الطباق بين الشيء وضده في الكلام وهو نوعان :

طباق الإيجاب وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلباً .

وطباق السلب وهو ما أختلف فيه الضدان إيجابا وسلباً ».[2]

ومن أمثلة هذا النوع :

وَطَارَ لكَ الصِّيتُ فأُرِّخَتْ مآثرُهُ مابيْنَ غربٍ ومشرقٍ"3

حصول الطباق هنا في كلمة غربٍ ومشرقٍ ويسمى الطباق الإيجاب

كذلك:

هــذا ابــن مــرةٍ : الحُلْــوُ النَّــدى كرَمــاً والمــرُّ بأْســاً ونــارُ الحــرْبِ تشْــتَعِلُ"4

طباق الإيجاب: في الحلو والمر.

وأيضا :

1عبد الرحمان الوجي، الإيقاع في الشعر العربي، المرجع السايق،ص74.
2علي الجارم، مصطفى أمين ،البلاغة الواضحة، المرجع السابق،ص281.
3القاضي عياض، الديوان،ص74.
4المصدر نفسه،ص49.

خَطَّـــهُ عـــارِفٌ نَبيـــلٌ وعانَـــا هُ فَصَـــحَّ التَّبْيِـــيضُ بالتَّسْـــوِيدِ"[1]

طباق الإيجاب :في التبيض والتسويد .

ويرد الطباق أيضًا في قوله :

وقـــدْ سَـــعيتُ إلى أبـــواب حجـــرتكم سعياً على الرأس لا سعياً على القدمِ "[2]

والطباق السلب :هنا في كلمة سعياً لا سعيا.

صـــفاته العَلْيـــاءَ كُـــلَّ الـــورَى عـــن حَصـــرِهَا والقَطْـــرُ لا يُحْصَـــرُ" [3]

الطباق السلب : حصر لاحصر.

إذن هذه المطابقة تدفعنا إلى القول أن الشاعر رغم معاناته ورغم تعبه إلا أن هناك دائماً أمل فكل كلماته توحي على تفاؤله فرغم السواد سيعم البياض وتشرق الشمس التي غربت ويحلو مر الحياة .

ب. "**الجناس** : وهو أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى وهو نوعان :

تـام: وهو ما اتفق فيه اللفظان في أمور أربعة وهي نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها .

غير تـام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة ".[4]

وجاء الجناس في قوله:

1القاضي عياض، الديوان،ص82.

[2]المصدر نفسه، ص94.

3 المصدر نفسه،ص51.

[4]علي الجارم ،مصطفى أمين،البلاغة الواضحة،المرجع السابق،ص265.

بـــــدرُ دُجـــــى أصـــــحابُهُ أنجُـــــمٌ بحْـــــرُ نـــــدى أنمُلُـــــهُ أَبحُـــــرُ." [1]

الجناس غير التام : بحر – ندى.

مـــــا ضـــــرُّكُمْ في ظـــــنِّكُمْ بِتحيَّـــــةٍ يحـــــي بهَـــــا عنـــــد الـــــوداعِ قتيـــــلْ

إن البخيـــــلَ بلحظَـــــةٍ أو لفظـــــةٍ أو عطفـــــةٍ أو وقفـــــةٍ لبَخيـــــلْ"[2]

كذلك تسقط شروط الجناس ليصبح غير تام في كلمة (ضركم- ضنكم / لحظة – لفظة).

ويرد الجناس غير التام في كل من الأبيات الآتية :

لَعلَّـــــكَ مُثْلِـــــي ياحمـــــام فـــــإنني غريـــــبٌ بـــــدايٍ قـــــد بليـــــتُ بـــــداءِ"3

لـــــولا العـــــوادِي والأعَـــــادِي زرتُهـــــا ابـــدًا ولـــو سَـــحْباً علـــى الوَجَنَـــاتِ"4.

هُمُـــو أودعُـــوا قلْـــبِي تبـــاريحَ لوْعَـــةٍ فنـــأيُهُمُو أذكَـــى وأنْكَـــى مِـــنَ الجَمْـــرِ" 5

لإتيـــان مـــالٍ مـــالَ كُـــلُّ مُؤَمِّـــلِ ولكنَّهـــا ســـبْلٌ صِـــعابُ المســـالِكِ"6.

فالجناس هنا في البيت الأول (بداي بداء)والبيت الثاني (العوادي والأعادي)والثالث(أذكى وانكى) اختلاف في الحروف والرابع(مالَ ومالٍ)اختلاف في الشكل .

ج. **السجع**: هو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير".7 ونذكر منه:

نـــداءًا مـــن الأعمـــاقِ: يـــا فـــالِقَ النـــوى ويا سامعَ النَّجْوى ويا مَنْ هو الأعْلَى" 8

والسجع هنا في كلمة (النوى، النجوى، الشكوى، البلوى) .

ويرد أيضا في قوله :

---

[1] القاضي عياض،الديوان،ص51.

[2] المصدر نفسه،ص86.

[3] المصدر نفسه،ص39.

4المصدر نفسه، ص44.

5المصدر نفسه، ص68.

6المصدر نفسه،ص79.

7أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبديع، المرجع السابق، ص204

8القاضي عياض، الديوان،ص87.

وتَخُصُّـــــهُ بزَوَاكِـــــيِّ الصَّـــــلَواتِ ونَـــــوامِيِّ التَّسْـــــلِيمِ والبرَكَـــــاتِ."1

السجع ، (زواكي ، نوامي ، الصلوات ، البركات .).

د. لزوم مالا يلزم :

"يعد لزوم مالا يلزم في الشعر العربي فناً من فنون البديع عند القدماء وقد وصفه النقاد بأنه نوع من الإعنات الذي يلجأ إليه الشاعر للدلالة على القدرة والتوسع في القول وإظهار المهارة".2وهو أن يجيء قبل حرف الروي إما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في التقفية كالتزام حرف وحركة أو إحداهما يحصل الروي أو السجع بدونه."3

ويبرز اللزوم في قول الشاعر :

إذا مَانشـــــرت بسَـــــاطَ إنْبِسَـــــاط فعنـــــه فـــــديتك فـــــاطو المزاحـــــا "4

و يرد في كلمة بساط وانبساط .

هـ. التصريع :

"هو استواء آخر جزء في الصدر ، وآخر جزء في العجز في الوزن الإعراب والتقفية ، ولا يعتبر بعد ذلك أمر آخر ، وهو في الأشعار كثير لاسيما في أول القصائد ، وكثير ما يأتي في أثناء قصائد القدماء وينذر مجيئة في أثناء قصائد المحدثين، ووقوعه في الإشعار دليل على غزر مادة الشاعر وحكمه في الكثرة والقلة حكم بقية أنواع البديع"5.

يورد الشاعر التصريع في الأبيات الآتية :

1القاضي عياض، الديوان، ص44.

2عبد الله بن سليم الرشيد، اللزوميات في الشعر العربي الحديث الرؤية والتشكيل الفني ،مجلة جامعة أم القوى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج ج 19، العدد41،1428هـ، ص01 .

3أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، المرجع السابق، ص332، 333 .

4القاضي عياض،الديوان،ص46 .

5ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ا لقاهرة ،1963 ص305.

يـــا عـــينُ هـــذا السَّـــيدُّ الأكْبَـــرُ وهـــــذِهِ الرَّوْضـــــةُ والمنـــــبرُ" 1

قِـــفْ بالرِّكَـــابِ فَهَـــذَا الرَّبْـــعُ والـــدَّارُ لاحَـتْ علَيْنـا مِـنَ الأحبَـابِ أنْـوارُ "2

لـــك الخَيْـــرُ عنْـــدي لـــذَاك النِّـــزاعْ فعَقْـــلٌ يَهِـــيمُ وقَلْـــبٌ يُـــراعْ "3

قُـــلْ للأماجِـــدِ والحـــديثُ شُـــجُونُ ماضـــرَّ أن شـــاَب الوقـــارَ مُجُـــونُ "4

إليـكَ مـدَدتُ الكـفَّ اسـتمْطِرُ الفَضْـلاَ واستكشـفُ البلْـوى واسـعطفُا لطَـوْلاَ "5

إذن فالثراء البلاغي واللون البديعي الذي وظفه الشاعر قد أضفى على قصائده جمالاً موسيقياً زاد في قوة تأثيرها على المتلقي، فكل من الظواهر السابق ذكرها (الطباق، الجناس؛ السجع التصريع، ولزوم ما لا يلزم)كان لها حضورا مميزا في كل موضوعاته .

وبعد استقراءنا لشعر القاضي ،نجده أنه ثروة فنية تستحق صب الاهتمام سواء من ناحية اللغة التي اتسمت عنده بالوضوح والسهولة ،وارتقت إلى الجمال التعبيري التأثيري، والأسلوب الفصيح البليغ المستقى من القرآن الكريم .أما عن الصور الفنية التي تضافرت على شعره لتترجم واقعه وكل أحاسيسه بلمسة مجازية وخيال واسع أما فيما يخص الجانب الموسيقي يتبن لنا قدرة الشاعر في التحكم في الإيقاع الشعري سواء من الناحية الخارجية أو الداخلية ، وتنوعه في البحور والقوافي اللذان يعتبران عنصر أساسي في بناء القصيدة ما هو إلا إلتزام منه ،أضفى على نظمه تكامل جمالي .كما صب فيض إبداعه على الألفاظ من الناحية الصرفية والصوتية في استعماله للتصريع والجناس والطباق ...الخ.، وهم أركان لايستغنى عنهم أي شاعر وتوظيفهم يحقق التوازن والانسجام والتماسك .

1القاضي عياض، الديوان ،ص50.
2المصدر نفسه، ص 53.
3المصدر نفسه،ص72.
4المصدر نفسه، ص 95.
5المصدر نفسه، ص87.

الخاتمة

وختاما لما سبق، كانت هذه الدراسة محاولة منا الإلقاء الضوء على موضوع "فن التوسل في شعر القاضي عياض"، باعتبار التوسل هو موضوع ديني وأدبي في نفس الوقت، كما أن القاضي عياض هو من خيرة رجال المغرب والذي كان له شأن كبير آنذاك، كما وجدنا له شعرا حسن في التوسل بأنواعه، وأغراض شعرية أخرى.

ومن خلال هذه الدراسة، توصلنا إلى جملة من النتائج أهمها:

- أن للتوسل، فجاء بمعنى التقرب إلى الله تعالى بكل عمل أو قول يحبه ويرضاه، ونعني به أيضا التماس الوسيلة المناسبة للتقرب من الله لحصول المرغوب في الدنيا أو الآخرة.
- والوسيلة مبناها ثلاثة أمور: المتوسل إليه(الله تعالى)، والواسل (العبد الضعيف والمحتاج)، والمتوسل به (العمل الصالح المتقرب به إلى الله).
- إرتبطت بالتوسل مفاهيم عديدة كالإستغاثة والشفاء والتبرك والرجاء والدعاء.
- شعر التوسل غرض شعري ديني، هو ذلك الشعر الذي يصب فيه الشاعر ندمه ويظهر فيه عجزه وتقصيره في واجباته الدينية والدنيوية، فيتوسل إلى الله ويناجيه ويطلب الغفران منه.
- للشاعر المغربي القاضي عياض شعر حسن في التوسل، اعترف من خلاله بذنوبه التي أثقلت كاهله وسودت كتبه، وأظهر ندمه الشديد على ما اقترفه من خطايا.
- يناجي ويتوسل إلى الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، ويتضرع إليه ويدعوه بحرقة كبيرة لكي يغفر له ذنوبه ويتوب عليه ويتجاوز عنه.
- وتارة أخرى يتوسل بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ويتخذه وسيلة إلى الله، ويطلب الشفاعة منه فيمدحه ويذكر خصاله ونعوته الحميدة ويسرد سيرته العطرة ثم يتوسل الله ويصلي ويسلم عليه.
- كما أيضا يتوسل بكل الأولياء والصالحين ويستغيث بهم .
- أما فيما يخص لغته الشعرية، فتميزت بالسهولة والبساطة استطاع عياض بواسطتها خلق الإبداع والتميز.
- براعته في اختيار الألفاظ وعمق المعاني كلها أدت الوظيفة التعبيرية والتأثيرية.
- تشبعت لغته بالمسحة الدينية، وكان مصدرها القرآن الكريم.

- مازج الشاعر في الأساليب ونوع بين الخبر والإنشاء وأهم ما ميز أسلوبه البلاغة والفصاحة، وروعة البيان وشرف المعاني وجمال التعبير.
- أضفت الصور الفنية البيانية والبديعية على أشعاره لمسة جمالية وتعبيرية .
- التزم الشاعر بالأوزان والبحور الشعرية الخليلية المعروفة، كما نوع في استعمال القوافي فشكل انسجاما وتناغما موسيقيا.

وأخيرا، نحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا لأنه أعاننا ووفقنا على اتمام هذه الدراسة المتواضعة فلا نزعم الكمال فالكمال لله وحده.

الملاحق

يقول عبد الله بن هارون الفقيه المحدث الراوية :

جَـــازَى الله العِيَاضِـــيَّ الإِمـــامَ لمـــاَ ... يَجـزي بـه كـلَّ مـن يُحـي بـهِ الأَثَـرُ

أنـوارُ ذِكِـرِ الرَّسـولِ المصْـطَفَى ائْتَلَقَـتْ ... تَجلُـو الـدَّيَاجِيَ مِنْهـا الأَنْجُـمُ الزُهُـرُ

شَمْـسُ الضُّـحَى أَشْـرَقَتْ مِـنْ نـورِهِ ودَكَ ... مِـنْ عَـرْفِ روْضِ الـزُّبَى لِلنَّاشِـقِ الزهَـرُ

سِـلْكٌ بِـهِ ازْدَانَ جِيـدُ العِلْـمِ وانتَظَمَـتْ ... فيـــهِ لِجَامِعِـــهِ اليَـــاقوتُ والـــدُّرَرُ

أَرْوَتْ ظِمَاءَ الوَرَى عن الغَمَامِ به ... بَواكِـفُ لِلْحَيَـا سَـحَّتْ بِـهِ الـدُّرَرُ

جَدِيـدُه لَـيْسَ يُبْلَـى الـذِّكْرُ مِنْـهُ عَلَـى ... مـر الجديـدين تُسْـتَلَجى لـه الصُـوَرُ

غَـضٌّ يَلَـذُّ عَلـى الأَسْمَـاعِ يَمْلَؤُهَـا ... مِنْـهُ السُّـرُورُ اذا تتُلَـى لَـه سُـوَرُ

لله دُرُّ الألبَـابِ قـد عَمَـرو أَلْ ... أَعْمـارَ مِنْـهُ لمـاَ قَـدْ بُـورِكَ

يُـرَدِدُونَ عَلَـى الأَسْمَـاعِ مـا قَـرَؤُا ... مِنْـهُ فيـانعم الـدُّنْيَا بِـهِ عَمَـرُوا

الِّشْـعُر شَـاحَ وكُـلُّ الفِكْـرِ حـين مَضَـى ... عَصْـرُ الشَّـبَابِ وَشَـابَ الـرَّأْسُ والشَّـعْرُ

تَمضِـي الحَيـاةُ وأبْنَـاءُ الزَّمـانِ بِـه ... في غَفْلَـةِ بِانْصِـرَامِ العُمْـرِ مَـا شَـعَرُوا

إنَّـا لَمِـنَ البشَـرِ جَلَّـتْ ذُنُـوبُهُمُ ... والله يَصْـفَحُ عمَّـا قَـدْ جَـنَى البَّشَـرُ

الفَضْـلُ والكَـرَمُ الجَـمُّ العَمِـيمُ لَـهُ ... جـاءتْ بـهِ لِعَبِيـدِ أَذْنَبُـو البِشَـرُ [1]

[1] شهاب الدين أحمد، أزهار الرياض في أخبارا لقاضي عياض، ج 4، تحقيق: سعيد أحمد أعراب، محمد بن تاويت، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة،1978،ص274،273.

قائمة المصادر والمراجع

القران الكريم :برواية ورش بن نافع

قائمة المصادر والمراجع:

1.إبراهيم السامرائي ،في لغة الشعر ،دار الفكر عمان.

2.إبراهيم القادري بوتشيش ، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والاندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة ،بيروت ،.1997

3.إبراهيم أمين الزرزومي، الصورة الفنية في شعر علي الجارم دار قباء، مصر، 2000م.

4.ابراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، ط2 ،1952.

5.ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن ،تحقيق: حفني محمد شرف ،لجنة إحياء التراث الإسلامي ،القاهرة 1963

6.ابن الآبَّار ،المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبى علي الصدفي ،مطبع روخس، مجريد، 1885.

7.ابن تيمية، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة : تحقيق عبد القادر الأرنؤوط الادارة العامة للطبع ،الرياض المملكة العربية السعودية ط1 .1999 .

8.ابن خلكان ، وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان ،ج، 3تحقيق :إحسان عباس دار صادر بيروت ،1970

9.ابن رشيق القيرواني، (456–390هـ) العمدة في محاسن الشعر وآدابو، ونقده، جزء ،1 تحقيق : محمد محي الدين عزيز، دار الجيل، ط5، 1401 ،5هـ–1981م.

10.ابن فرحون، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ،ج،2دار التراث العربي.

11.ابن كثير، البداية والنهاية ،ج،12المعارف ،بيروت، لبنان، . 1991

12.أبو بكر القاهر الجرجاني ،دلائل الاعجاز تعليقك محمود محمد شاكر.

13.أبي زكريا محي الدين، تهذيب الأسماء واللغات، ج ،2دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

14.أحمد الهاشمي ،جواهر البلاغة في المعاني والبديع ،المكتبة العصرية ،سيدا بيروت.

15.أحمد بن القاضي المكناسي ، جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس ، دار المنصور ، الرباط ، 1973

. أحمد مطلوب ،أساليب بلاغية الفصاحة البلاغة المعاني ،وكالة المطبوعات الكويت ط1 ،1979،ط

. انخل جنثالث بالنثيا،تاريخ الفكر الأندلسي ، ترجمة : مؤنس ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ،.1955

. الثعالبي، الكناية والتعريض، تحقيق: عائشة حسين فريد، دار قباء، 1998م

22. .الحسن السائح، الحضارة الإسلامية في المغرب، دار الثقافة، الدار البيضاء ط،2

1986.الحسين بن شواظ، القاضي عياض عالم وإمام أبل الحديث في وقتو، دار القلم، دمشق،ط1 1999.

العماد الأصفهاني خريدة القصر وجريدة العصر، ج،2تحقيق :آذرتاش آذرنوش ،الدار التونسة ،ط.1986 ،

. الفتح بن خاقان ، قلائد العقيان ،مطبعة التقدم العلمية ،مصر،ط1، 1320

القاضي عياض:

- الديوان ، تحقيق : محمد عيناق، بني ازناسن ، سلا المغرب ط1 ، 2001.
- اكمال المعلم بفوائد مسلم،ج1 ،تحقيق: يحي اسماعيل ،دار الوفاء المنصورة ، 1997.
- الغنية ، تحقيق : ماهر زهير جرار ، دار الغرب الإسلامي ط1 ، 1982

بديع يعقوب، معجم المفصل في علم العروض والقافية وفنون الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان،ط1، 1991 ،

. جلال الدين عبد الرحمان، طبقات الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983.

حسن أحمد محمود ،قيام دولة المرابطين ،دار الفكر العربي ، القاهرة ،.ص19

حسن بن علي السقاف، الاغاثة بأدلة الاستغاثة ،دار الإمام النووين بيروت،ط4، 1303 ،

. حسن جلاب ،الحركة الصوفية بمراكش ظاهرة سبعة رجال ، الوراقة الوطنية مراكش،ط،1 1994.

حسن عباس خصائص الحروف العربية ومعانيها اتحاد كتاب العرب1998

حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس، مكتبة الاسرة ، .

. خالد عبد الرحمان الجريسي ،جوامع الدعاء، تقديم عبد الرحمان الجبرينة سلسلة زاد المؤمن ط 2، .1421 .

. سيد البحراوي ،العروض وإيقاع الشعر العربي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب .1993

شفيق محمد عبد الرحمان ، شعر الجهاد في عصر الموحدين ،مكتبة الأقصى عمان، الأردن ،1984

. شمس الدين محمد ، سير أعلام النبلاء ،ج،20تحقيق شعيب الأرنؤوط ،محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة، بيروت ط1 .1985 ،

شهاب الدين أحمد ،أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض :

- **ج، 4تحقيق : سعيد أحمد أعراب ، محمد بن تاويت ، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة ،.1978**
- ج3،تحقيق : مصطفى السقا وآخرون،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة 1942ص161.

–شوقي ضيف

- **تاريخ الأدب العربي ، عصر الدول والإمارات الجزائر المغرب الأقصى موريتانيا السودان ، دار المعارف ، القاهرة ، ط1 ،.1995 ،**
- **تاريخ الادب العربي عصر دول الإمارات الأندلس، دار المعارف القاهرة ط1 .1989**

. ضياء الدين عبد الله الصالح :إتحاف الموحدين في حكم التوسل بالمخلوقين ، جامع الإسراء والمعراج ،1413هـ–.199

عبد الرحمان الوجي ، الإيقاع في الشعر العربي ، دار الحصاد ، دمشق، ط1 . 1989

عبد العزيز عتيق ،علم البيان ، دار النهضة العربية ،بيروت ،1405هـ.

عبد القادر مصطفى عبد الرزاق المحمدي ،الشفاعة في الحديث النبوي دراسة وتخريج ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،لبنان،ط1 .2005،1426 .

. عبد الله كنون ، النبوغ المغربي في الأدب العربي ،ج1ط،.1960

. عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،المكتبة العصرية بيروت ط1 .2006 ،

علي الجارم، ومصطفى أمين ، البلاغة الواضحة ، دار المعارف.

. علي محمد الصلابي

- صفحات من التاريخ الإسلامي دولة الموحدين ، ج 5 دار البيارق ،عمان
- تاريخ دولتي المرابطين والموحدين في الشمال الإفريقي ط. 2

غازي يموت ،بحور الشعر العربي عروض الخليل ،دار الفكر اللبناني ط2 ،1992

. فاتن كوكة، التصنيف اللغوي والأدبي في عصر المرابطين والموحدين 670_484هـ ،الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق، ط1 .2010 ،

. لسان الدين بن الخطيب ،الإحاطة في أخبار غرناطة ،ج ،4تحقيق: محمد عبد الله عنان مكتبة الخانجي ، القاهرة ،ط1 ،.1977 .

محمد أحمد قاسم ،ومحي الدين دياب ،علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني المؤسسة التونسية الحديثة للكتاب، لبنان ط1 .2013 .

. محمد الزرقاني ،مناهل العرفان في علوم القرآن ،ج،2تحقيق فواز أحمد زمرلي ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان ط1. 1995 .

. محمد بن حسين بن عثمان المرشد ،الوافي في العروض والقوافي ، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ،ط1 .2004 .

. محمد بن عياض ،التعريف بالقاضي عياض ، تحقيق : محمد بن شريفة مطبعة فضالة ، المحمدية ،ط2 ،1982 ،

محمد حسين، نظرية محمد حسين ، نظرية النقد العربي ،دار المؤرخ العربي بيروت لبنان

محمد علي الهاشمي ،العروض الواضح وعلم القافية ،دار القلم ،دمشق ،ط1 .1991 .

. محمد مرتاض ،النقد الأدبي القديم في المغرب العربي نشأتو وتطوره دراسة وتطبيق، إتحاد كتاب العرب ،دمشق، .2000

. – محمد ناصرالدين الألباني ،التوسل أنواعه أحكامه ،تحقيق :محمد عيد العباسي مكتبة المعارف ،الرياض ط1 . 2001 .

. محمد نسيب الرفاعي ، التوصل إلى حقيقة التوسل المشروع والممنوع، دار لبنان، بيروت، ط3 .1979،

مصطفى حركات، أوزان الشعر االدار الثقافية ،القاىرة ،ط1 .1998.

مصطفى صادق ، وحي القلم ، ج1وج ،3المكتبة العصرية ، سيدا، بيروت.
ناصر بن عبد الرحمان ،التبرك أنواعو وأحكامو، مكتبة الرشيد ،الرياض 1411هـ.
. وليد محمد مراد ، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدرسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر، دمشق ، ط. 1983 ،

المعاجم:

1.ابراييم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، إسطنبول، تركيا، ج :،2مادة (وَسَلَ)
2.ابن الاثير، مجد الدين، النهاية في غريب الحديث والاثر ،أشرف عليو: علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الاثري ،دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية الدمام ، ط1421،1هـ، مادة (وَسَلَ)
3.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 711هـ،) لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1414،3هـ، مج: ،11مادةَ(وسَلَ)
4.الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تعليق: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين

الرسائل الجامعية:

1.سهاد تحسين إلياس ،دولة الخوف والرجاء في القرآن الكريم ،رسالة ماجستير إشراف :الاستاذ حسين النقيب، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين،كلية الدراسات العليا ،قسم أصول الدين،..2017
2.عبد القادر البار، المجموعة النبهانية في المدائح النبوية دراسة أسلوبية أطروحة دكتوراه في اللغة ، إشراف: أحمد جلابلي ،جامعة أبي بكر بلقائد تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية .201
3.غادة عبد العزيزد منهوري ،الصورة الاستعمارية في شعر طارزمخشري رسالة الماجستر في البلاغة والنقد ،إشراف :حامد بن صالح الربيعي ،جامعة أم القرى ،كلية اللغة العربية .1421هـ
4.محمد مؤمن صادق ،الصورة البيانية في شعر خليل مطران ،رسالة ماجستر في البلاغة والنقد ،إشراف بشير:بشير جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية .2008
5.محي الدين ،الشعر الأندلسي في عصر الموحدين مقاربة لفنونو وخصائصو في الفترة الأولى ،رسالة للحصول على شهادة دكتوراه في الأدب العربي إشراف :محمد عباس جامعة تلمسان

معهد اللغة العربية وآدابها،.1998،1997
6.مي بنت أحمد بن محمد حسن سكيك ،شبهات المتوسلين(عرض ونقد)،رسالة الماجستير في العقيدة، إشراف .الأستاذ جابر بن زايد بن عيد السميري الجامعة الإسلامية، كلية أصول

المجلات والمقالات:

1.إيمان عبد الرحمان حسن العثمان ، التعايش السلمي للمسلمين مع أبل الذمة في الدولة المرابطين في عصر علي بن يوسف (500هـ /537هـ) (،)1106/1142مجلة كلية العلوم الإسلامية ، المجلد الثامن ، العدد (.2014 ،)2/15
2.خديجة بصالح ،علاقة اللغة بالأدب مجلة حوليات التراث العدد 6جامعة مستغانم .2006
3.رائد وليد جرادات ،بنية الصورة الفنية في النص الشعري الحديث الحر نازك الملائكة أنموذجا، مجلة جامعة دمشق ،المجلد ،29العدد(2013 ،)2+1م.
4.سمير عمر سعيد سمير ،عمر الشفاعة ميزان الغيب، مجلة كلية الإمام الأعظم " الجامعة ، .م2014–هـ1435، 18 العدد
5.عبد الحميد جودي، مقال بعنوان :قراءة في آلية الصورة من خلال شعر الزند عند أبي إسحاق الألبيري ،مجلة قراءات ،جامعة محمد خيضر بسكرة ، العدد .2010
6.عبد الله بن سليم الرشيد ، اللزوميات في الشعر العربي الحديث الرؤية والتشكيل الفني ،مجلةجامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ج،19العدد .1428، 41
7.عبد المجيد دقياني ، القافية في شعر بلقاسم خمار ،مجلة العلوم الإنسانية العدد ،11جامعة محمد خيضر بسكرة ،.2007
8.علي أحمد علي ، دور المولدين والمستعربين في الدولة العربية بالأندلس العربية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان ،126حزيران .2014
9.فهد عمر سعيد المقرن ،التبرك بآثار النبي عليو الصلاة والسلام (دراسة عقدية) مجلة دراسات إسلامية ، تصدرعن وكالة المطبوعات والبحث العلمي العدد 1432، 25هـ– .م2015
10.معاش حياة ،مقال بعنوان :جمالية الصورة الشعرية في قصيدة المديح النبوي ،مجلة الأثر، جامعة ورقلة ،العدد2016، 26

المواقع الالكترونية:

1. –عبد الله بن عبد الحميد الأثري :التوسل المشروع والممنوع دار ابن خزيمة ،تم الإطلاع

http://www.ktibat.com/ .، سا23:00 ،22/05/2020:

2.محمد صقور :فلسفة التوسل ودليل شرعيتو، مركز الهدى للدراسات الإسلامية ،نشر في 22/04/2020 سا19:37:م،تاريخ الاطلاع28/08/2005

3. –نجلاء جبروني ،الرجاء عبادة قلبية ،أفاق الشريعة، نشر في 17/01/2001

https://www.alukah.net/

فهرس المحتويات

المحتـوى	الصفحة
البسملة	I
الشكر والعرفان	II
الإهداء	III
مقدمة	أ–ب
I. المدخل: ترجمة الشاعر وعصره.	
1. ترجمة الشاعر	2
1.1. مولده وتعلمه	4–2
2.1. شيوخه	4
3.1. مصنفاته	5–4
4.1. وفاته	6–5
2. عصر الشاعر	6
1.2. العصر المرابطي	7–6
1.1.2. الحالة الاجتماعية	9–7
2.1.2. الحالة السياسة	11–9
3.1.2. الحالة الثقافية	12–11
2.2. العصر الموحدي	13–12
II. الفصل الأول :دراسة موضوعية لفن التوسل عند عياض	
تمهيد	15
1. تعريف التوسل	16
1.1. التعريف اللغوي	17–16
2.1. التعريف الاصطلاحي	19–17
2. أهم المفاهيم المرتبطة بالتوسل	20

1.2. الإستغاثة	20
2.2. الشفاعة	21–20
3.2. التبرك	22–21
4.2. الرجاء	22
5.2. الدعاء	23
3. أنواع التوسل	24
1.3. التوسل بالله بأسمائه الحسنى	27–25
2.3. التوسل بالرسول صلى الله عليم وسلم	34–28
3.3. التوسل بالأولياء الصالحين	34
III. الفصل الثاني :دراسة فنية في شعر القاضي عياض	
1. اللغة	44–39
2. الأسلوب	50–44
3. الصورة الفنية	51
1.3. الصورة التشبيهية	54–51
2.3. الصورة الإستعارية	57–55
2.3. الصورة الكنائية	60–58
4. الإيقاع الشعري	61
1.4. الإيقاع الخارجي	61
1.1.4. الوزن	66–61
2.1.4. القافية	70–67
2.4. الإيقاع الداخلي	71
أ. الطباق	72–71
ب. الجناس	73–72
ج. السجع	74–73
د. لزوم مالايلزم	71
هـ. التصريع	75

خاتمة	79–78
الملاحق	81
قائمة المصادر والمراجع	89–83
فهرس المحتويات	
الملخص بالعربية والانجليزية	

الملخص

يعد التَّوسل من أهم مضامين الصوفية ويرتبط هذا الفن عند الشاعر المغربي القاضي عياض بعدة مفاهيم: كالاستغاثة ،والدعاء ،والتبرك،والرجاء.

أمَّا أنواعه التي وظفها وهي:التوسل بالله وبأسمائه الحسنى، التوسل بالرسول صلَّى الله عليه وسلم، التوسل بالأولياء الصالحين.

الكلمات المفتاحية :التَّوسُل-الصُوفِية-عِياض

ABSTRACT

Supplicationis one of the most essential themes in the Sufism believe in which it was mainly attached with the Moroccan poetry Ayyad with different subjects such as: pry for ،blessing, wishes, and help. Therefore, different kinds of supplication were presented in his works: supplying to God as to prophet Mohamed (peace upon him) as well as to the righteous people.

KEY WORDS

Supplication, Sufism, Ayyad, prophet Mohamed (peace upon him)